القصيدة

لعنة سهدان (زئير)

خطايا الماضى تجددها آثام الحاضر

اســـم الكتـــاب	:	القصـيدة، لعنـة سـهدان (زئـير)
تـــــــأليف	:	
تصـميم الغـلاف	:	
الإخـراج الفـني	:	مـــريم محمـــد ســـيد
تصـنيف الكتـاب	:	روايـــــــــــــــــة
المقـــــــاس	:	14 × 20
إصـــــــدار	:	2024
إيـــــــداع	:	
تـــــرقيم دولي	:	

بصمة كاتب
للنشر والتوزيع

مديرة الدار: حبيبة شبل

للتواصل: **01093187904**

بيدج الدار:

https://www.facebook.com/profile.php?id=100084349646208&mibextid=ZbWKwL

القصيدة

لعنة سهدان (زئير)

خطايا الماضى تجددها آثام الحاضر

مقدمة

عزيزي القارئ:

لن أكونَ مُتكلفًا معكَ أكثرَ من تلكَ الكلمة؛ فأنتَ لا تعرفني، وأنا لا أعرفُكَ، وكلُّ ما يربطُنا تلكَ الكلماتُ اللعينةُ التي بينَ يديكَ الآن، فلا داعي لكلمة "عزيزي" حتى تنكشفَ أوراقُنا لبعضِنا البعض الآن.

أنتَ تقرؤها من أجلِ فضولِكَ ذي الطابعِ غيرِ المُبرَّر، وأنا أكتبُ لك ما سيجعلُ منكَ القربانَ الأخير، أيُّها اللعينُ الساذج. لم أستنزفْ كلَّ ذلكَ المجهودِ والوقتِ والتعبِ على مدارِ أكثرَ من سنتينِ متتاليتين لأسردَ لكَ هذهِ التجربةَ وتلكَ القصةَ التي ستودي بحياتِكَ حتمًا بعدَ أنْ تنتهي منها، إنْ لم تنتهِ هيَ منكَ أولًا. وأنتَ بحماقتِكَ اللعينةِ تظنُّ أنها مجردُ كلماتِ شخصٍ أحمقٍ مثلي، كتبَ بعضَ الكلماتِ الدلاليةِ عن الرعبِ والفزعِ والهلع.

فأصغِ إليَّ جيدًا بكلِّ حواسِكَ التي اشتملتْ عليها روحُكَ وجسدُكَ. ركِّزْ في كلِّ كلمةٍ؛ لأنَّها بمثابةِ لغزٍ لاكتشافِه داخلَ أو خارجَ سطورِ روايتي هذه. ولكَ مني نصيحةٌ: عليكَ رؤيةُ كلِّ هذا خارجَ حدودِ كلماتي. تدبَّرْ كلَّ شخصيةٍ، وسِرْ مع أحداثِها، وتتبَّعْ سيرَ كلِّ حدثٍ وشخصيةٍ.

وإياكَ أنْ تظنَّ أنَّ تلكَ الكلماتِ التي تقرؤها الآن محضُ مقدمةٍ سخيفةٍ يكتبها كاتبٌ لعينٌ لجذبِ انتباهِكَ. وإنما اعلمْ أنَّها لتتعلمَ وتفهمَ، فأكونَ قد برأتُ نفسي مما ستقرأُ بعدَ قليل.

كلُّ طلسمٍ وتعويذةٍ تحملُ في حروفِها خطرًا محتمًا، ولم أنسَكَ من جانبِ الحفظِ والتحصين. فكما جعلتُ اللعناتِ تصبُّ عليكَ، جعلتُ لكَ حِصنًا ودِرعًا منيعا من ذكرِ اللهِ وأدعيةٍ حقيقيةٍ.

ستجدُ بعضَ المعلوماتِ التي تعرفُها مسبقًا، وأخرى لم تعرفْها بعد، والبعضَ غريبًا ولا يُصدَّق. ولكنْ يجبُ أنْ تركِّزَ على حِصنِكَ أكثرَ من اللعناتِ حفظًا لنفسِكَ، لكي لا تتخطفكَ الشياطينُ من كلِّ حدبٍ وصوب. لا تجعلْ من شيءٍ تافهٍ بعدَ الآن، ولا حتى مجردَ كلمةٍ تقرؤها بمحضِ الصدفةِ وسطَ الكلماتِ التالية.

احذر، احذر، احذر؛ هذهِ هيَ تحذيراتُكَ الثلاثة.

هل تظنُّ أنني أطلتُ عليكَ في مقدمةٍ نحنُ في غنىً عنها؟ صحيح؟

إذنْ، سأتركُكَ مع كلماتي وشياطيني الهائمة.

وعليكَ الآن أنْ تقومَ بفعلِ الطقوسِ المبجلةِ للرعب. كما تعلم: أغلقِ الأنوارَ، وأشعلِ الشمعةَ الصغيرةَ التي لديكَ. وإنْ لم تجدْها، فاكتفِ بنورِ كشافِ الهاتف. ولا تنسَ عودَ البخور. اجلسْ وحدكَ؛ لا تنتظرْ أحدًا. فلنْ يسمعكَ أحدٌ حتى ننتهي من بعضِنا البعض، أنا وأنتَ والكتابُ الذى بينَ يديكَ.

هيا بنا...

دكتور سيف

أبعث إليك هذه المذكرات، ولا تسألني لماذا، فأنا لست بمجنون. فلا تحكم علي إلا بعد قراءتك للمذكرات ولن تعلم من أنا حتى تنتهي من قراءتها.

ذلك الطول، وتلك المخالب التي ليست بأظافر، وتلك العباءة السوداء التي يلتف بها وكأنه شبح الموت قد أتى إلينا. وبهجمة مباغتة من ذلك الوحش الذي ظهر أمام الاثنين سيف ووليد ليغرس تلك المخالب في صدر وليد ويرفعه لأعلى، فتسقط قطرات الدم على وجهه، ثم يقوم بترشف دم صديقه أمام ناظريه مباشرة. لم يستطع سيف الحراك، ولم يعلم بماذا يقوم سوى الصراخ كالأطفال الرضع.

هل انتبهت لتلك الجثة الممزقة هناك في تلك الزاوية ؟ والرأس الذي قُطِعَ، لا بل فصل تماما عن مكانه، وهُشِّمَ ليصبح بضع عظام ملطخة بدماء جافة وخلايا من المخ؟ أترى تلك بقع الدماء التي تحيط بالجثة التي لم يبق منها إلا أشلاء؟ وبالتأكيد ترى أيضًا ذلك الشيطان العطش للدماء وهو يرتشف آخر قطرات الدماء من الجثة، وتلك المخالب التي تمزق كل ما تأتي عليه، وتلك الأسنان الحادة كان المشهد أمامك مرعبا حقا، أليس كذلك ؟ خاصة عند رؤيتك لوجه الشيطان المتحلل.

يا ودود، يا ودود، يا ذا العرش المجيد، بحق اسم الله العظيم الأعظم الذي زلزل الأكوان وخلق الإنس والجان، بحق اسم الله الرحيم

الرحمن، بحق اسم الله الواحد القهار، بحق أسماء الله الكريم المنان واسمائه العظام، الواحد والعشرون المذكورة في الآية المزلزلة للكيان، بدأها باسمه هو وختمها بالعلي العظيم، عظيم الأكوان. يا هو، يا هو، يا هو، يا الله، يا الله، يا الله. أحرقه بناره نار السموم، لا تجعل له أثرًا ولا معلومًا، وأره العذاب المحتوم، وعجز كل من كان من الخصوم ليرى هم المهموم. وصب فوق رأسه يحموم مزموم، وفي نار الهاوية خالدا فيها مهزوم، وفي عذاب لا نهاية له يدوم.

***

أشرقت الشمس، والسماء صافية في يوم جميل، وذهب إلى العمل كعادته في همة ونشاط. كان صباحًا جميلا، والشمس تنير الدرب. أعد فطوره من لبن وخبز وبعضًا من مربى التين التي كان لها من الزمن ما يقارب الأسبوع في تلك الثلاجة، ثم وجد المنبه يرن. إنها قد جاءت الساعة السابعة حتى ينطلق للعمل.

سيف عبد الرحمن همام، يعمل طبيبًا نفسيًا في مستشفى لا داعي لذكر اسمها في القاهرة، حفظًا لمراعاة الخصوصية والحقوق، ولكنها من أكبر المستشفيات بها.

طويل، يكد يصل طوله مترًا وثلاثة وثمانين من المتر. ممشوق القوام، حسن الوجه، ذو عينين متسعتين، والمنظر العام كان مهندمًا منظمًا. الملابس قمحي البشرة، شعره أسود مموج.

لم يكن متزوجًا، أعزب ويبلغ من العمر الثامنة والثلاثين. كان يعيش بمفرده حيث كان والداه يعيشان في صعيد مصر في محافظة أسيوط. كان سيف يجود عليهما ويزورهما كل سنة مرة أو مرتين.

وذهب سيف إلى المستشفى بعد استقلاله لِتَاكسي من أسفل العمارة التي يقطن بها. كان يجول بنظره في السماء ووجوه الناس.

وفجأة قال سائق التاكسي: "ها قد وصلنا يا أستاذ".

سيف: "شكرًا، خذ أجرتك"، فأعطاه عشرين جنيهًا.

السائق: "ما هذا! لا تكفي الأجرة هذه، أعطني عشرة أخرى".

سيف: "لماذا أنا دائمًا أدفع هذا المبلغ؟".

السائق: "لا يا أستاذ، الآن قد ارتفعت الأجرة جراء ارتفاع سعر البنزين".

فلم يعقب سيف على كلام السائق ودفع له وذهب.

سيف: "أهلاً يا عم مسعود، كيف حالك؟"

مسعود: "بخير يا دكتور سيف الحمد لله، كيف حالك أنت يا بني؟"

عم مسعود هو أحد أفراد الأمن على باب المستشفى، طويل القامة، ليس بثمين ولا رفيع، هو شيء بين الاثنين. شعره بني قصير، تظهر على وجهه تجاعيد الزمن، ويبلغ من العمر سبعة وخمسين عامًا، ولكن يحتفظ بقوته.

ودخل سيف إلى الداخل، وأخذ يعالج المرضى القدامى ويمر على مرضاه. نفس الأشخاص كل يوم، فهناك يجلس محمود يعاني من اضطراب ذهني بسبب وقوعه على رأسه، أدى لحدوث خلل في المخ. شاب يافع تأتى له أمه كل فترة من حين لآخر.

وهناك شعيب يعاني من الاكتئاب الحاد جراء صدمة كانت السبب فيها زوجته التي خانته أمام عينيه. فلم يستطع فعل شيء سوى قتلها.

وهذا في الركن الأيسر، ممدوح يعاني من هلاوس سمعية شديدة تقوده للجنون. طيب جدًا، ولكن سرعان ما يفقد طيبته هذه عندما تنتابه تلك الهواجس.

وظل يضحك معهم كالعادة، ويصف لهم الدواء ويتفقد ما يحتاجونه ومستوى سوء أو تحسن حالاتهم.

فهم يحبونه ويحبون الجلوس معه.

يا دكتور سيف، هل تعرَّضتَ للخيانة من قبل؟ قالها شعيب.

سيف: يا شعيب، أنا لستُ متزوِّجًا.

شعيب: لا تتزوَّج، فلن ينالك سوى الغدر والخيانة وتصبح مثلي.

سيف: لا تقلق يا صديقي، لا أنوي أن أتزوَّج، فلو كنتُ أريد الزواج، كنتُ تزوَّجتُ من قبل.

ردَّ شعيب ساخرًا: الأفضل، ولكن إن حدث ذلك وتزوَّجتَ وكثرت مشاكلكم وزاد الغضب بينكم، فخذ نصيحتي: الكلام الحقيقي لا يظهر إلا عند الغضب، ولكن ابحث عن تفاصيل الحقيقة بين سطور المزاح بينكم.

سيف: ما هذا الكلام الكبير يا شعيب؟ إنك لحكيم! هههههه.

شعيب: لستُ بحكيم، وإنما هي تجارب تعلَّمتُ منها.

سيف: وماذا أيضًا يا شعيب؟

شعيب: عندما تجد البعض حمقى ولا يدرون أن ذلك الشخص ليس بمجنون، ماذا تقول؟

سيف: نقول إن عقولهم لا تستوعب ما هو به!

شعيب: لا تحاول تنظيف أي زريبة فكرية.

مجهودُك ضائعٌ مفقودٌ وستتسخ أنت، كما أنك ستُغضِب البهائم، فاتركهم يقولون ما يشاؤون.

سيف: أتقصد أنني من تلك البهائم يا شعيب؟

شعيب: لا يا دكتور، فأنا أعلم أنك تتعامل معنا ليس بتلك الطريقة، وإنما أخبرك كمثل قريب يُوصِّل المعلومة أسرع.

(يُنادي عم مسعود): يا دكتور، يا دكتور!

سيف: ماذا هناك يا عم مسعود؟

مسعود: هناك حجرٌ أُلقي علينا ونحن نجلس، وكانت تلتفُّ حوله ورقة مكتوبٌ عليها اسمُك، فخذ واقرأ.

أخذ سيف تلك الورقة التي كانت تبدو مثل ورقٍ من كتاب، ولكنها بيضاء ومكتوبٌ عليها بخط اليد:

"دكتور سيف، أنا أعلم مدى براعتك في علاج مرضاك، وأريد التواصل معك لتسمع وتقرأ الكثير. فإن كنتَ مهتمًا، اخرج وألقِ بالحجر في منتصف الطريق، وأنا سأتواصل معك مرةً أخرى."

أخذ يفكِّر مليًّا وقال: ما هذا الذي يحدث؟ ولكن قد أخذه الشغف والفضول ليعرف ماذا يحدث، فإن الطريقة غريبة لجذب انتباه سيف. فكان من الممكن أن يأتي له مباشرةً ويتحدَّث إليه، ولكن يبدو أن أمرًا مهمًّا أو أحد الألاعيب من أحد الأشخاص أو الزملاء في العمل.

ولكن سريعًا ما قال عم مسعود:

مسعود: لن تخسر شيئًا، فألقِ بالحجر في منتصف الطريق. فإن تواصل أحدٌ معك خيرٌ، وإن كانت مزحةً فلن تكون قد خسرتَ شيئًا.

وبالفعل خرج وتلفَّت يمينًا ويسارًا وظل يراقب الأشخاص أمام باب المستشفى، ولكن لم يجد شيئًا يدعو لشدِّ الانتباه. فألقى بالحجر ثم وقف قليلاً ينظر بين الناس ويفكِّر فيما يحدث وما قد يحدث.

قطع تفكيره المشتَّت عم مسعود وقال:

مسعود: يا دكتور، لا تقلق، فإن حدث شيء آخر سأُطلعك عليه.

فولجَ للداخل مرةً أخرى وجلس بمكتبه، ومرَّ الوقت وقد نسي ما قد حدث. وجاءت الساعة الرابعة عصرًا، وذهب لشقَّته وأعدَّ العشاء، ولكن هاتفه رنَّ.

كان صديقه في العمل دكتور وليد، وهو دكتور جراحة عامة، شخصية جذَّابة، كثير الضحك وطيب القلب، لذلك كان مقرَّبًا لسيف. يُحبُّ الحديث في أشياء غريبة مثل الجنِّ والسحر وما وراء الطبيعة وخلافه. ومن سماته الذكاء. أكبر من سيف في العمر بما يقارب السنتين فقط. مفتول العضلات، فهو يحبُّ لعب الرياضة وكمال الأجسام، ولكنه أقصر من سيف في الطول بما يقارب العشرين سنتيمترًا.

وليد: أين أنت يا سيف؟

سيف: في الشقَّة، تعال لنجلس ونتسامر الليلة مع بعضنا البعض.

وليد: أجل، أنا آتٍ إليك الآن، ولكن أعدَّ لنا العشاء وانتظرني.

سيف: حسنًا، ولكن إن تأخَّرتَ سأكل بمفردي، فأنا جائع.

وليد: لا، لا تأكل يا مفجوع، انتظر، فسأحضر معي كبابًا وفراخًا وكفتة.

سيف: إذا كان الأمر هكذا، حسنًا سأنتظر. هههههه.

وضحكا على الهاتف وتحدَّثا قليلاً، وقال وليد: إني آتٍ الآن.

ولم يلبث كثيرًا حتى دقَّت الساعة السادسة إلا ربعًا، ووجد الباب يفتح ويدخل منه وليد، فهو يملك أحد مفاتيح الشقَّة، كما يملك سيف مفتاح شقَّة وليد هو الآخر.

وليد: هل أكلتَ بدوني؟

سيف: لا والله، بل إني منتظرُك يا وليد، حتى إني أريد أن أحدِّثك في أمرٍ قد حدث اليوم.

وليد: ماذا يا أخي؟ أخبرني، فأنا أعرفك بائسًا حزينًا، ولن تخبرني إلا بأشياء مثلك. هههههه.

سيف: لا يا وليد، انتظر حتى تسمع.

وليد: أخبرني، ماذا حدث؟ فيبدو أنك منزعج قليلاً.

سيف: أجل، وحيران قليلاً أيضًا. اسمعني: اليوم قد جاء عم مسعود وقال إن هناك صخرة قد أُلقيت عليه، وبها ورقة مكتوبٌ عليها أني بارع في معالجة مرضاي، وأن هناك أمرًا إذا كنتُ مهتمًّا لأعرفه، فأخرج وألقِ بالصخرة في منتصف الطريق. ولا نعلم من الذي ألقاها ولا ماذا يريدني أن أعرفه.

وليد: لا تقلق، فهذا عادي، قد يكون أحد يمزح.

سيف: لا، فهو يعرفني ويعرف اسمي، وقد ذكرني أنا خاصة.

وليد: يا أخي، إنها ألعوبة مفعولة بك، فلذلك كُتِب اسمُك حتى تقع في المصيدة، وإلا ما كُتِب اسمك يا ذكي.

سيف: ألا تظنُّ أن الطريقة غريبة بعض الشيء لكل هذا؟

وليد: لا غريبة ولا عجيبة، فلماذا تشغل بالك كثيرًا هكذا؟

سيف: الفضول يا صديقي سيقتلني إن لم أعرف، حتى وإن كانت مكيدة من أحدهم وهو يمزح.

وليد: إذًا الأمرُ هكذا، لنأكلْ أولاً ثم نتحدَّث.

سيف: حَسنًا، أين الكبابُ والكفتةُ التي أخبرتني بها؟

وليد: هههههههه، هل صدَّقت؟ هههههه!

سيف: يا لكَ من مخادعٍ يا وليد! هيا بنا لنحضرَ طعامًا إذًا من أسفل.

وليد: لا، لا، يكفي ما عندك في الثلاجة من طعام، فأنا لستُ غريبًا عن المكان يا سيف.

وأخذَا يتحدَّثان ويأكلان الطعامَ الذي كان لا يكفي شخصًا واحدًا حتى، وكان بيضتين ونصفَ علبةٍ من الجبن وعلبةَ تونة. وأخذَا يتحدَّثان ويضحكان كثيرًا ويشاهدان الأفلام، ومضى الوقت حتى أتت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل.

فقال سيف: فلتنمْ معي هذه الليلةَ، فالوقت قد تأخَّر.

قال: موافقٌ على شرطِ أنْ تعدَّ الإفطارَ أنتَ في الصباح.

فهزَّ سيف رأسه موافقًا لما قال، واستيقظا صباحًا وذهبا معًا إلى المستشفى.

وكالعادةِ، سلَّم سيف على عمِّ مسعود، الذي قال:

يا دكتور سيف، قد أتى إليك طردٌ في البريد واستلمته بدلاً عنك حتى تأتي.

سيف: أينَ هذا الطرد؟

قال مسعود وهو يمدُّ يده: خذ، ها هو.

ودخل به إلى مكتبه بعد انصراف وليد أيضًا، ونظرَ إلى الطرد فوجده صغيرًا مكتوبًا عليه اسمُ سيف ثلاثيًا، ولا يوجد اسم مرسِل ولا شيء يدلُّ على مكان الإرسال أو المُرسِل. وكان من الغريب أيضًا أنه ليس عليه طابعٌ من طوابع البريد. ولكن لم يكترث لهذا وفتحَه لينظر داخله، فلم يجد به إلا كتابًا ومذكِّراتٍ يومية.

وكان الكتاب قديمًا بعض الشيء، ورقُه أصفرُ تلفَ من عامل الزمن، يبدو عليه أنه قيِّمٌ وذو قيمةٍ كبيرة. أما الكتاب الآخر، فكان له غلافٌ سميكٌ بنيُّ اللون ذو كبسولة، فعلم حينها وتأكد أنها مذكِّراتُ أحدهم. وتأكد من هذا بعد فتحِ أول صفحة، والتي كان مكتوبًا بها:

***

دكتور سيف، أبعثُ إليك هذه المذكِّرات، ولا تسألني لماذا، فأنا لستُ بمجنون. فلا تحكمْ عليَّ إلا بعد قراءتِك للمذكِّرات، ولن تعلمَ من أنا حتى تنتهي من قراءتها.

***

فنظر سيف إلى الحائط تائهًا، وقلَّب عينيه بين كل زوايا المكتب، الذي أحسَّ حينها أن مكتبه غريبٌ لا يعرفه، كأنه أول مرة يجلس به. وشعر أن هذا فعلاً ليس بمقلب كما كان يظن. وكان يدور في ذهنه:

لماذا أنا الذي تُرسل إليه مذكِّرات مثل هذه؟ وأنا لا أعلم حتى ما بها حتى الآن ومن هو صاحبها.

ثم تركها وخرج ليرى المرضى كعادته، وأنجز ما أنجزه سريعًا حتى يعود مسرعًا ويبدأ في قراءة ما بتلك المذكِّرات التي يبدو أنها غريبة وتحمل الكثير من الكلام، وستدخله في متاهات كثيرة هو في غنى عنها.

جلس يفكِّر قليلاً قبل أن يخرجها من درج المكتب...

***

سيف: هل أنتِ بالداخل؟

سيف: أجل، من الطارق؟

هبة: أنا هبة، يا سيف، أريد الحديثَ معك.

هبة دكتورة في المستشفى، جميلةُ الشكل والملامح، بيضاءُ البشرة، قصيرةٌ بعض الشيء، ولكن طالما ارتدت الحذاء ذو الكعب العالي لتخفِي قِصرها. وما يزيد من جمالها الحجابُ الذي ترتديه، فتلك الدائرةُ السوداءُ حول وجهها تظهرها كأنها القمرُ محاطٌ بظلمة الفضاء، تشعرك عند رؤيتها براحةٍ نفسية، وصوتُها مريحٌ خفيفٌ وهي

تتحدث، مما يجعلها شخصًا مميزًا حتى للمرضى، فيحبون الحديث معها، كما أحببتُ أنا ذلك أيضًا.

سيف: تفضلي يا دكتورة هبة، لِمَ تقفين بالخارج؟

هبة: كيف حالك يا سيف؟

سيف: الحمدُ لله كثيرًا، إني بخير والله، كيف حالك أنتِ؟

هبة: بخير، حمدًا لله الذي عافانا.

سيف: الله يديمُ حمدك ونبض قلبك.

هبة: ولك المثل.

سيف: ماذا هناك يا دكتورة؟ يبدو عليكِ الانشغال والتفكير.

هبة: كنت أريد التحدث معك بشأن علي، المريض الخاص بي.

سيف: ما به؟ تفضلي، اجلسي وتحدَّثي يا دكتورة.

هبة: أنت تعلم أنه يعاني من هلاوس بصرية وسمعية، كما أطلعتُكَ، فهو لا يتحسن أبدًا بالعلاج أو بدونه، حتى إنني فكرتُ في معالجته بالصدمات الكهربائية.

قطع سيف حديثها قائلاً: أجل، ولكن لم تخبريني ما نوع تلك الهلاوس؟ وماذا يرى ويسمع؟ فلكل شيء يا دكتورة علاج.

هبة: أولاً، لا تنادني بالدكتورة يا سيف، بل نادني باسمي ولا تجعل بيننا فاصلاً، فنحن زملاء من قبل العمل. وارفع الألقاب، لا أحبها

الآن، وغير أنك تعلم بقربك مني، ولا أتقرب لأحد هنا سواك في الحديث.

ثانيًا، يقول إنه يرى شبحًا أسودَ يطارده دائمًا في أحلامه، ويأتي له في الليل يريد أن يقتله ويعذبه أشد أنواع العذاب، بجانب تلك الأصوات التي يسمعها، والتي على حد وصفه تشبه أصوات الكلاب والقطط والبشر المعذَّبين.

قال سيف: حسنًا، حسنًا، لن أقول اللقب ثانية، ولكن لا تغضبي هكذا، هههههه. ولكن يبدو أنه يعاني من متلازمة شارل بونيه، التي تجعله يرى أشياء غريبة. من الممكن أن تفحصي عيناه، فتلك المتلازمة سببها وجود ضرر بالعين مثل الضمور البقعي أو الساد.

هبة: لا يا سيف، فإن الأغرب ستسمعه حالاً. هو يقول إن هذا الكيان الأسود يأخذه للمقابر ويضعه هناك ليلقى العذاب، وعندما نأتي له صباحًا نجد على قدميه آثارَ الطين وعلى جسده. فكيف له أن يأتي بالطين وهو داخل غرفته؟ لذلك لجأتُ إليك.

سيف: وبما أن الأمر غريبٌ هكذا، إذًا لِمَ يكون الحل عندي؟ أم أنكِ تظنين أني ساحرٌ أو ما شابه؟ هههههه.

هبة: لا يا ظريف، بل لأنك ممتازٌ يا سيف في هذا المجال، وخاصة ممن يعانون من الهلاوس. ولأن الأمر غريبٌ، فأخبرتك حتى يكون أحدٌ آخر على علم بهذا المريض.

سيف: حسنًا، لنفحص عيناه أولاً، ومن ثم نعرف ما به.

وخرجت هبة من المكتب وتركت سيف مع المذكرات التي لا يعرف مصدرها حتى.

المذكرات...

أنا شاب من العشرينات في عمري، حصلت على دبلوم تجارة ولم أجد عملاً كحال معظم شباب البلد، ولكن بشهادة أصدقائي شاعر موهوب، أحب أن أكتب القصائد سواء فصحى أو عامية، ولكن ما هو أهم أني جيد في كتابتي الشعر. وكنت أكتب وأرفع تلك القصائد على مواقع التواصل الاجتماعي والبرنامج الأكثر متابعة "يوتيوب".

ولكن قلة من قصائدي التي كانت تنال الإعجاب، فكنت أكسب بعض الأرباح، وإن كانت قليلة من تلك المواقع. وكانت من القصيدة الأكثر مشاهدة آنذاك كانت تتحدث عن الأصدقاء:

> وكان لي رفيقٌ في الطفولةِ أسعدَ بلقياه،
جلستُ أشكو له، ولم أجدني في عيناه،
ظللتـ أفكر: هل كنتُ في ذكراه؟
أم أنني أظلُّ وحيدًا أرى جفاه؟
أصبحتُ وحدي بدونه في الحياة،
لم أرد سلطانًا ولا حتى جاه،
إنما صديقًا أستند على كتفاه،
يمدُّ لي يد العون ولا يتركني بيداه،

أكنتُ ثقيلاً لكي يرفض كفاه؟
فقدتُ شتاتي وضَللتهِ الاتجاه،
كانت تلك صداقةً أم كانت أشباه؟
وجفَّ ريقي كمن لم يطعم المياه،
حتى وجدتُ ما يشدُّ الانتباه،
قلَّبتُ دفاتر ذكرياتي السعيدة، وجدتُ الآه.
قلتُ سرًا: آه، في حزني يا الله،
رحيمٌ أنت، أتتركُ عبدًا لك؟ تاه!
ضُمَّ وأجبر حزنَ عبدك، وقوِّ ضعفه،
ما لي في الحياة أحدٌ من البشر سواه،
وفي الآخرة، يا رب، سأَنعمُ برؤياه،
وتركتُ باب البشر بدون مسألةٍ سألتها إياه."

ولكن في إحدى لحظات تفكيري وخيالي جاءتني فكرة جهنمية، مثلما يقولون، لأجذب المشاهدات والمعجبين والمتابعين، وبذلك سيزيد ربحي وأجني الكثير من المال. وهي أن أكتب شعرًا بطريقة لم يكتب بها أحد، وأصنع لنفسي طريقة وشيئًا أُذكر به دون غيري.

لماذا لا أطور من الشعر وأكتب في مجالات لم يسبق لأحد أن يكتب بها؟ لماذا لا أكتب شعرًا عن الجن والعفاريت والرعب؟

فالقصص المرعبة تجذب أكثر من أخواتها من القصص والروايات، والرعب له سيطٌ كبير. فإذا سأجعل من الشعر مرعبًا أيضًا فلن يجاريني أحدٌ في شيءٍ قد اخترعته بنفسي وأكن أول من كتب به.

وفي ذات ليلة جاء لي صديقي عمر وقال:

"هيا بنا لنذهب إلى سور الأزبكية ونشتري بعض الأشياء."

فقلت: "هيا بنا."

وأخذنا سيارة عمر وذهبنا صباحًا. وعند وصولنا لوجهتنا سرت قليلاً وتلفتُّ يمنةً ويسارًا فلم أجد شيئًا قد أشتريه. فقلت:

"يا عمر، ماذا ستشتري؟"

لكني لم أجد عمر بجواري. فقلت: "لأتفحص بعض الأكشاك تلك التي هناك حتى يرجع صديقي."

فوجدت كشكًا صغيرًا يبيع الكتب. فقلت:

"جميل جدًا! لأشتري بعض الدواوين الشعرية التي بالتأكيد ستساعدني في كتاباتي وتطوير مهارتي وأتعلم من الشعراء المرموقين."

فدخلت لأجد لمبة صفراء تنير بنورٍ خافت، وكتبًا كثيرة عليها تراب كثير، وأرففًا مليئة بالكتب. فقلت في نفسي:

"ليس من المعقول أن كل هذه الكتب ليس بها قيم وجميل لتترك هكذا."

قال صوتٌ من خلفي:

"من أنت يا بني، وماذا تريد؟"

ففزعتُ والتفتُّ لأرى شيخًا كبير السن يظهر على وجهه وقار السن والهيبة. كان يرتدي قميصًا سكريَّ اللون وبنطالاً بنيًا. بدا من مظهره أنه قارئٌ للكتب وموسوعة تتحرك على الأرض، لكنه ترك هو أيضًا للزمن كما حال كل الكتب عنده.

فقلت: "أريد دواوين شعر يا جدي."

قال الرجل في وهن وهو لا يبالي بشيء ولم ينظر لي حتى بعدما جلس على كرسي صغير في جانب المحل:

"على هذا الرف، خذ ما شئت من الكتب."

فنظرت حيث أشار، فوجدته يشير لجانبي، ولكن في مستوى أعلى من قامتي. فطلبت منه الكرسي حتى أصل للرف.

وأخذت ثلاثة دواوين شعرية: أحدها فصحى، واثنان عامية، وهما (زي الأفلام ولحظة ضعف). وكان الفصحى (جدارية محمود درويش).

فسعدت جدًا لما وجدته من تلك الكتب. وقلت للرجل:

"كم ثمنها يا جدي؟"

قال الرجل بابتسامة خفيفة: "خذها ودَعْ حسابها عليّ."

قلت: "لا والله يا جدي، بل كم ثمنها؟ وسأعطيك أكثر لما وجدته من كتب قيمة."

رد قائلاً: "خمسون جنيهًا."

قلت: "فقط؟"

رد قائلاً: "أجل، فقط."

فأعطيته خمسين جنيهًا، ثم أخرجت عشرين أخرى، لأن تلك الكتب تساوي أكثر من ذلك بكثير. فظننت أن كبر سنه قد جعله ينسى ثمن الكتب كلها.

ولكن وأنا خارجٌ من عنده، لفت انتباهي كتاب قديم أمامه على مكتبه مكتوبٌ عليه: "أحضرني لتغني."

فعجبت من اسمه وقلت:"سأحضرك!" (ضاحكًا مستهزئًا من الاسم).

وأخذته وودت أن أدفع ثمنه، ولكن قال الرجل:

"إنه مني هدية لك، إنك أعطيتني مالاً أكثر مما طلبت. فلذلك، خذه مجانًا."

وسرتُ للخارج وانتظرتُ فرحًا بجانب العمود المقام بجوار الكشك. كنت أفكر في تلك الكتب التي لم ينظر لها أحد برغم أنها قيمة.

وسرعان ما سمعت عمر ينادي عليّ:

"أين أنت يا أخي؟ ظللت أبحث عنك كثيرًا! إلى أين سرت وتركتني؟"

قلت لعمر: "أنت الذي تركتني وذهبت."

قال: "كنت أشتري بعض الأشياء ولم أجدك. حسنًا، لنذهب الآن. يبدو أنك اشتريت كتبًا كثيرة، ويبدو أيضًا على وجهك السرور."

فأجبته: "أجل يا عمر، أنت لا تدري كم هي قيمة تلك الكتب. ستساعدني في كتابة الشعر."

فلم يعقب، وذهبنا للمنزل.

***

كان سيفُ منتبهًا لما يقرأ حتى رنَّ هاتفُه، مما فصل وشتت تركيزَه. فنظر إلى الهاتفِ فوجده وليدًا.

وليد: أين أنتَ يا سيف؟

سيف: أنا في مكتبي، لماذا؟

وليد: هل تعلم كم الساعةُ يا رجل؟ إنها الساعةُ الثامنةُ مساءً! لِمَ جلستَ كلَّ هذا؟ ألم نتفق على أن العشاءَ عندي هذه الليلة؟

صُعقَ سيفُ من كلامِ وليدٍ عندما أخبرَه بالساعةِ. ونظرَ إلى ساعةِ الحائطِ أمامَه فوجدها فعلاً الثامنةَ وعشرَ دقائق.

سيف: كيف مرَّ كلُّ هذا الوقتِ ولم أشعر؟ كيف؟! كانت الساعةُ الحاديةَ عشرةَ قبل الظهر! مررتُ على المرضى، وأتت هبةُ

وتحدثْ قليلاً وذهبتْ، ثم قرأتُ تلك المذكراتِ. فكيف مرَّ هذا الوقتُ كله ولم أشعر؟

كلُّ هذا يدور في ذهنِ سيف، وتساؤلاتٌ كثيرةٌ بداخلِ عقلِه تدور، ووليدٌ يتحدثُ ولم ينطقْ بكلمة.

ثم ردَّ سيفُ: لا يا وليد، لا تقلق يا أخي، إني قادمٌ الآن. كنتُ أنجزُ بعضَ العملِ وتأخرتُ قليلاً فقط.

وليد: قليلاً! قليلاً! قليلاً! ماذا أقولُ لك؟ الساعةُ الثامنةُ وتقولُ قليلاً؟ حسنًا، هيا تعالَ يا سيف، هيا ولا تتأخر، ولنتحدثْ عند وصولِك.

أغلقَ وليدُ الهاتفَ في وجهِه، فلم ينزعجْ؛ فمن حقِّه فعلُ هذا. ولكن ما يدورُ ببالِ سيفٍ الآن ويشتتُ تفكيرَه: كيف مرَّ هذا الوقتُ؟

خرجَ وبدَّل ملابسَه سريعًا، وصعدَ في تاكسي حتى يذهبَ لوليد. كانت السماءُ شديدةَ السوادِ، وكان القمرُ محاقًا، وكانت الطرقُ مزدحمةً.

فأخبرَ السائقَ بالإسراع، فأسرعَ به من طريقٍ آخرَ أقلَّ ازدحامًا. ثم طرقَ بابَ شقةِ وليد.

وليد: ادخل.

فطرقَ مرةً أخرى.

وليد: ادخل!

فطرقَ سيفٌ للمرةِ الثالثة، ثم فتحَ وليدٌ البابَ وهو غاضبٌ وقال: أليسَ معكَ مفتاحٌ؟ ألم يكفِ أنك متأخرٌ وتريدُ الاستظرافَ الآنَ يا ذا الدمِ الثقيل؟

فلم يجبْ عليه بكلمةٍ واحدةٍ، وأزاحَه من طريقِه ودخلَ صامتًا وعقلُه يدورُ ويفكرُ: ماذا يحدثُ لي؟ حتى أنني نسيتُ أن معي المفتاحَ ولا أعلمُ كيف انقضى كلُّ هذا الوقت.

فلاحظَ عليه وليدٌ انشغالَ تفكيرِه.

وليد: ماذا حدث لتتأخرَ كلَّ هذا في العملِ؟ أخبرني.

فردَّ سيفُ: لا، لا تشغلْ بالَك أنتَ. وسامحني على تأخري، أعتذرُ منك يا وليد.

وليد: لا يهمُّك يا سيف، ولكن أخبرني على الأقل: لماذا كلُّ هذا التأخير؟ وما كنتَ تفعلُ كلَّ هذا في المستشفى؟

فأخبرَه بكلِّ ما حدث إلى أن أتى له الآن. فلم ينطقْ بشيءٍ وقال: لنأكلْ، ومن ثمَّ نتحدثْ في كلِّ هذا. ونظرَ سيفُ إلى صورةِ وليدٍ على الحائطِ فإذا به يراها تنظرُ إليه وتبتسمُ، فصرخَ فزعًا.

وليد: ماذا هناك؟ ماذا حدث؟ أفزعتني!

سيف (في فزع): الصورةُ تنظرُ لي وتبتسمُ يا وليد!

وليد: لا، لا. هكذا تكونُ قد جُننتَ يا سيف. ما هذا الذي تقولُه؟ بالطبع تنظرُ لكَ وتبتسمُ، لأنها صورتُي، وأنا مبتسمٌ في تلك الصورةِ اللعينةِ. (قالها في غضب).

وليد: ماذا يحدثُ لكَ يا سيف؟ أنتَ دكتور، يجبُ ألّا تقولَ مثلَ هذا الحديثِ يا أخي. فأنتَ متعلمٌ ومثقفٌ، فكيفَ لك بكلِّ هذا الهراءِ؟ وفوقَ كلِّ هذا، أنتَ طبيبُ نفسي!

لم يجبه بشيءٍ وتركه لينامَ، فقد تعبَ بعد هذا اليومِ السخيفِ وكلِّ هذا العناءِ.

ونامَ وليدٌ على الأريكةِ، ونامَ سيفٌ كالقتيلِ على السرير. ولكن قامَ سيفٌ قلقًا في منتصفِ الليلِ وهو لا يعلمُ لماذا.

ولكنه علمَ لماذا، حيث إنه فجأةً سمعَ صوتَ خربشاتٍ على السرير. فلم يُعِرْها انتباهَه أولًا، فقد تكونُ القطةَ. ولكن هناك خربشاتٌ وهمهماتٌ في كلِّ أرجاءِ الغرفةِ، ففتحَ عينَيْه لينظرَ بعينَيْه اللتين كانتا مفتوحتين نصفَ فتحةٍ من النومِ، ليجدَ أن هناك وجهَ أحدِهم في وجهِه مباشرةً وهو نائمٌ على السرير. كانَ نورُ الأباجورةِ بجانبِهِ يَكشِفُ تِلكَ الملامِحَ اللعينةَ الملتصقةَ في وجهِهِ. وجهٌ مُتحلِّلٌ أسودُ، عينانِ بَيضاوانِ، شَعرٌ قليلٌ يَنزلُ مِن جُمجمةِ هذا الكائنِ على وجهِهِ، أسنانٌ حادَّةٌ مُدبَّبةٌ بارزةٌ تُشعِرُكَ وكأنَّها سكاكينُ مِن مُجرَّدِ رؤيتها فقط. يَسيلُ مِن فَمِهِ دَمٌ أسودُ، قَدَمانِ وكأنَّهُما عِظامٌ لميِّتٍ، يَرتدي جَلبابًا أسودَ مُهلهَلاً يكادُ يُغطي جَسدَه، يَنزلُ إلى أسفلِ رُكبتيهِ

ولا يَصلُ لأسفلِ قَدَميهِ. يَمسكُ في يدِهِ اليُسرى رأسَ قطةٍ سوداءَ تُصدِرُ صوتَ القططِ رغمَ أنَّها مَقطوعةٌ مِن جسدِها.

أرادَ سيف الصُّراخَ فلم يَستطِع ذلك، وأرادَ الكلامَ فلم يتحرَّك لسانُه، ولا جَسدُهُ طاوعه ليتحرَّكَ، فلم يَتذكَّر شيئًا في ذِهنِهِ إطلاقًا مِن الفزعِ، ونَسي القرآنَ حتى يَتلوه، نَسي كلَّ شيءٍ ولم يَشعر إلا بخوفٍ ورُعبٍ فَازعٍ فقط. جاهَدَ نفسَهُ لقولِ "بسم الله"، فشعرَ بِالتواءِ لسانِهِ، وهذا الوجهُ البشعُ يتحرَّكُ أمامَه ويقفُ على حافَّةِ السَّريرِ ليرى طولهُ الَّذي تخطَّى المترينِ وأكثر، وتلكَ القدمَينِ النحيفتَينِ الطَّويلتَين، واليدَينِ التي تَصلُ إلى الأرضِ، وتلكَ المخالبُ في يَدَيه. وفَجأةً انطلقَ مسرعًا تُجاهه، فصرخَ صراخًا عارمًا ساقطًا على الأرضِ.

ولكنَّهُ يفتحُ عينَيه ليجدَ وليدًا أمامهُ يَبكي ويقول: "الحمدُ للهِ أنَّكَ استيقظتَ وأفقتَ يا سَيف، ماذا حَدَثَ لكَ لكلِّ هذا الصُّراخِ وهذا الخرابِ العارمِ؟ أنتَ لستَ على ما يُرامُ في تِلكَ الأيامِ."

حَدَّثَ سيفٌ نفسَهُ قائلاً: ما هذا؟ هل أنا نائم؟ لا، إنِّي مستيقظ. فقالَ لوليد: أينَ أنا وماذا حَدَث؟

قالَ وليد: "أنتَ قُمتَ في منتصفِ الليلِ تلكَ الليلةِ المَشؤومةِ تصرخُ بشدَّةٍ، ففزعتُ مِن نومي ودخلتُ عليكَ، وأنتَ تخنقُ نفسَكَ. ولم تَكتفِ بذلك، بل كنتَ تُخبطُ رأسَكَ في الحائطِ. وهَجمتُ عليكَ لأُخلِّصكَ مِن يَدَيكَ، فإذا بكَ تُطيحُ بي أرضًا دونَ أن تَلمسَني حتى، ولكنَّكَ سقطتَ أرضًا وأكملتَ ضربَ رأسِكَ في الأرضِ وأُغمِيَ عليكَ. وأتيتُ بكَ للمستشفى، وخشيتُ أن تكونَ قد متَّ أو حَدَثَ

لكَ شيءٌ. فأنتَ لكَ ثلاثةُ أيامٍ في المستشفى، تفيقُ قليلاً، ثم تَدخلُ في نَوبةٍ أخرى."

قالَ سيف: "ماذا؟ كيفَ هذا؟" ولكنَّهُ قالَ في نفسِهِ: هل هذهِ أولُ مرةٍ تَجدُ الوقتَ يَمرُّ دونَ أن تَشعر؟ لا. إذا لا تَستعجِب، فمِن الآنَ ستَرى العجائبَ والغَرائب.

ولكن فجأةً تَذكَّرَ هذا الكائنَ الَّذي رآهُ، فأخبَرَ وليدًا بما حَدَثَ وما رأى في تِلكَ الليلةِ. وأرادَ أن يكونَ هناكَ شاهدًا على ما يَحدثُ، وأرادَ منهُ أن يُشارِكهُ في عَنائهِ، فنعَمَ الصديقُ الَّذي يُرافِقُهُ الدربَ ووقتَ عَنائهِ وشِدَّتِه.

قالَ وليد: "إذا، لنُحضِرْ تِلكَ المذكراتِ ونُكمِلِ القراءةَ، فتِلكَ الأمورُ لم تَحدثْ معكَ إلا بعدَ وصولِها لكَ. وتَذكَّرْ: كلُّ ما حَدَثَ لكَ ليسَ بالضرورةِ هو خطؤكَ، ولكن انتبهْ؛ كلُّ ما حَدَثَ لكَ هو مسؤوليتُكَ وعليكَ أن تَتحمَّلَها."

وبالفعل، سرعانَ ما ذَهَبا إلى مكتبِ سيفٍ في المستشفى، وأحضَرَ تلكَ المُذكِّراتِ وجَلَسا في شِقَّتِهِ حتى يَقرأَ هو ووليدُ بهدوءٍ ويَعلمَ ما بتِلكَ المُذكِّراتِ. وأكمَلَ وليدُ القراءة.

***

وبَعْدَ وَصُولِي إِلَى المَنزِلِ أَنَا وَعُمَرَ صَدِيقِي، جَلَسْتُ أَتَفَحَّصُ الكُتُبَ الَّتِي أَحْضَرْتُهَا، وَلَكِنْ قَدْ شَدَّ انتِبَاهِي وَعَقْلِي ذَاكَ الكِتَابَ صَاحِبَ العُنْوَانِ "أَحْضِرْنِي لِتَغَنَّى". وَفَتَحْتُهُ لِأَقْرَأَ المُقَدَّمَةَ فَوَجَدتُ

بِهَا التَّحْذِيرَ الآتِي: "لَا تَسْتَعْجِلْ عَلَى رِزْقِكَ الَّذِي كُتِبَ لَكَ، فَإِنَّ فِي العَجَلَةِ النَّدَامَةَ. فَلَا تَقْرَأْ القَادِمَ إِلَّا إِذَا كُنتَ عَالِمًا بِمَا سَتَقْرَأُ. وَإِيَّاكَ الرُّجُوعَ فِي الصَّفْقَةِ".

قُلتُ: مَا هَذَا الكَلَامُ؟ وَلِمَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ الكِتَابِ تَحْذِيرٌ مِثْلُ هَذَا؟ وَلَكِنِّي لَمْ أُعْطِهِ انتِبَاهًا كَبِيرًا، وَقَلَّبْتُ الصَّفْحَاتِ لِأَقْرَأَ مَا بِهِ. وَلَكِنْ كُلُّ الكَلَامِ لَيْسَ عَرَبِيًّا، وَلَكِنَّ بَعْضَ تِلْكَ الحُرُوفِ حُرُوفٌ عَرَبِيَّةٌ، وَلَكِنَّ بَعْضَهَا مُنَفَّصَةٌ، وَآخَرُ مَكْتُوبٌ بِالعَكْسِ، وَبَعْضُ الدَّوَائِرِ وَالرُّسُومِ وَالمُثَلَّثَاتِ وَالمُرَبَّعَاتِ مُتَدَاخِلَةٌ، فَلَمْ أَفْهَمْ مِنهَا شَيْئًا عَلَى الإِطْلَاقِ. وَتَرَكْتُهُ عَلَى المَكْتَبِ، وَنَظَرْتُ فِي سَاعَتِي فَكَانَ الوَقْتُ الحَادِيَةَ عَشْرَةَ وَالنِّصْفَ قَبْلَ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ، فَاسْتَلْقَيْتُ عَلَى السَّرِيرِ وَنِمْتُ نَوْمًا عَمِيقًا.

وَبَعْدَ مَرُورِ بَعْضِ الوَقْتِ، أَجِدُ نُورًا أَحْمَرَ يَشِعُّ فِي عَيْنَيَّ، يَخْتَرِقُ جِدَارَ عَيْنَيَّ. فَقُمْتُ لِأَنْظُرَ مِنْ أَيْنَ يَأْتِي ذَلِكَ النُّورُ، وَلَكِنْ شَعَرْتُ بِبَرْدٍ مُفَاجِئٍ فِي الأَجْوَاءِ وَنُورٍ أَحْمَرٍ، فَعَلِمْتُ أَنَّ هُنَاكَ خَطَبًا مَا. فَخِفْتُ قَلِيلًا، وَشَعَرْتُ بِالفَزَعِ عِندَمَا رَأَيْتُ أَنَّ هُنَاكَ شَيْئًا يَتَحَرَّكُ مِنْ أَسْفَلِ المَكْتَبِ الَّذِي فَوْقَهُ الكِتَابُ. وَخَرَجَ ذَلِكَ الشَّيْءُ لِأَجِدَ أَبْشَعَ وَجْهٍ أَمَامِي، وَجْهٍ أَسْوَدَ مُتَحَلِّلٍ تَتَطَايَرُ بَعْضُ الشِّعْرَاتِ فَوْقَ تِلْكَ الجُمْجُمَةِ الطَّوِيلَةِ، وَذَلِكَ الطُّولِ المُفَزِّعِ أَوْ تِلْكَ المَخَالِبِ الَّتِي فِي يَدَيْهِ بَدَلًا مِنَ الأَظَافِرِ. فَلَمْ أَشْعُرْ بِشَيْءٍ إِلَّا بِذَلِكَ المِخْلَبِ قَدْ غَرَسَ فِي يَدِي وَأَنَا أَصْرُخُ مِنَ الأَلَمِ وَالفَزَعِ.

فَقَالَ: "اهْدَأْ، أَنَا أَحَدُ شُعَرَاءِ الجِنِّ الهَائِمُونَ مِنْ وَادِي عَبْقَرٍ وَالمَذْكُورُونَ فِي القُرْآنِ فِي سُورَةِ الشُّعَرَاءِ. سَأُعْطِيكَ مَا طَلَبْتَهُ كَثِيرًا، وَسَأَجْعَلُ مِّنْكَ غَنِيًّا وَشَاعِرًا مَوْهُوبًا".

فَهَدَأْتُ أَعْصَابِي وَأَفْكَارِي، وَبَدَأْتُ أَبْتَسِمُ مِنْ دَاخِلِي لِكَلَامِهِ، وَلَكِنْ مَا زَالَ الفَزَعُ مَوْجُودًا بِشِدَّةٍ دَاخِلِي مِنْ مَنْظَرِهِ المُرْعِبِ. وَسَكَتَتِ الأَجْوَاءُ فَجْأَةً، وَأَجِدُ نَفْسِي أَسْتَيْقِظُ مِنَ النَّوْمِ مَرَّةً أُخْرَى. فَعَلِمْتُ أَنَّهُ مُجَرَّدُ حُلْمٍ مُرْعِجٍ أَوْ كَابُوسٍ فَقَطْ مِنَ الَّتِي تَرَاوَدُنِي بَيْنَ الحِينِ وَالآخَرِ.

وَأَتَيْتُ بِكَأْسِ مَاءٍ لِأَشْرَبَ وَأَنَا أَسْتَعِيذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَلَكِنْ لَحْظَةً! ذَلِكَ الكِتَابُ وَضَعْتُهُ عَلَى المَكْتَبِ قَبْلَ نَوْمِي مُبَاشَرَةً، كَيْفَ أَتَى فِي يَدِي وَأَنَا نَائِمٌ؟ وَنَظَرْتُ مَكَانَ مِخْلَبِ الجِنِّ فِي يَدِي، لِأَجِدَ يَدِي بِهَا جُرْحٌ وَكَأَنَّهُ قَدِيمٌ، وَلَكِنْ أَنَا لَمْ أَجْرَحْ مِنْ قَبْلِ فِي يَدِي. فَكَيْفَ أَتَى ذَلِكَ الجُرْحُ، وَكَيْفَ الْتَأَمَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ الوَقْتِ القَصِيرِ؟

وَلَكِنْ مَا أَرْعَبَنِي شَيْءٌ آخَرُ، يَا دُكْتُورُ سِيفٍ، أَنَّ الكِتَابَ كَانَ فِي يَدِي، وَكَانَ أَحَدُ أَصَابِعِي فِي دَاخِلِ الكِتَابِ، وَكَأَنِّي كُنتُ أَقْرَأُ بِهِ أَوْ كُنتُ أعلم وَأُمَيِّزُ مَكَانَ الصَّفْحَةِ حَتَّى أَرْجِعَ لَهَا مَرَّةً أُخْرَى. فَوَجَدتُ بِتِلْكَ الصَّفْحَةِ وَرَقَةً قَدِيمَةً صَفْرَاءَ، كَانَ مَكْتُوبًا بِهَا:

بِسْمِ الجَلَلِ وَالجَلِيلِ، احْضِرْ وَلَا تَبْخَلْ يَا زَئِيرَ،

كُونَكْ مَوْجُودً طَمَأْنَ قَلْبِي، وَفِي حُضُورِكْ بِخَيْرٍ.

أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ بِسَيِّدِكَ "ظَامٍ"، كَمَا سَمَّيْتَهُ قَطّ الآخِيرِ،

الَّذِي لَدَيْهِ أَلْفُ وَجْهٍ، وَكُلُّ وَجْهٍ فِيهِ أَلْفُ عَيْنٍ مِنَ الأَسَاطِيرِ.
وَأَلْفُ فَمٍ فِيهِ أَلْفُ لِسَانٍ، لِكُلِّ نَوْعٍ كَانَ خَيْرًا أَوْ شَرِّيّر.
تَعَالَ، وَاجْلِبْ مَعَكَ الغِنَى وَالسُّرُورَ وَالخَيْرَ.
قَسَمُكَ كَانَ بِهِ الخَيْرُ وَالشَّرُّ، وَأَنَا لَا أُرِيدُ سِوَى الخَيْرِ.
وَأَقْبِلْنِي قُرْبَانًا لِظَامٍ سَيِّدِي، وَسَيِّدِ التَّدَابِيرِ.
حَتَّى أَكُونَ عَوْنًا وَأَمْحُوْ أَخْطَائِي وَأَفُوْزَ بِالتَّكْفِيرِ.
أَرَدْتُ هَذَا بِإِرَادَتِي حَتَّى أَسْمُوْ وَلَا أَكُونَ مِنَ الأَحَاقِيرِ.
يَا زَئِيرُ، احْضِرْ وَلَا تَكُنْ عَاصِيًا وَلَا حَقِيرًا.
كُنْ خَادِمًا وَفِيًّا لِّلشَّيْطَانِ، وَإِلَّا سُلِّسِتْ بِالجَنَازِيرِ.
احْضِرْ، احْضِرْ يَا زَئِيرُ، وَنَفِّذْ القَسَمَ بِالْحَذَافِيرِ.
لَبَّي نِدَائِي العَجَلَ الوَحَّا، السَّاعَةَ لِخَادِمِكَ الأَجِيرِ.

فَعَلِمْتُ أَنَّ هَذِهِ الأَبْيَاتِ أَبْيَاتٌ شِعْرِيَّةٌ، وَلَكِنْ لَحْظَةً! هَذَا مَا كُنتُ أُرِيدُهُ حَقًّا، أَنْ أَكْتُبَ شِعْرًا عَنْ الجِنِّ، وَيَكُونُ شِعْرًا مَرْعِبًا. وَلَكِنْنِي لَمْ أَعْلَمْ أَنَّهُ سَيَكُونُ مَرْعِبًا حَقًّا لِيَحْدُثَ مَعِي مَا حَدَثَ.

***

تنغلقُ الشبابيكُ بعنفٍ وتنطفئُ الأنوارُ، وسيفٌ ووليدٌ يفزعانِ من الخضةِ، ولكن هناك شعاعُ نورٍ أحمرَ غيرُ معلومِ المصدرِ، لا يعلمانِ من أينَ أو ما مصدرُ ذلك النورِ الأحمرِ الذي ملأ أرجاءَ الغرفةِ.

وليد: الآنَ ما هذا يا سيف؟ لن أصدقَ هذا أبدًا ولن أقتنعَ أنه سيحدثُ مثلَ ما حدثَ مع ذلك الشابِ في تلك المذكراتِ اللعينةِ.

سيف: لا، لا أظنُّ ذلك يا وليد، فنحنُ لم نفتحِ الكتابَ المذكورَ في المذكراتِ، ولم نقرأْ منهُ شيئًا، ولم نطلبْ شيئًا أيضًا.

ولكن نظرَ سيفٌ إلى وجهِ وليد، فبدا على وجههِ رعبٌ وذعرٌ لم يرَهُ طوالَ حياتِهِ من قبلُ على وجهِ وليدَ أبدًا، وهو يرتجفُ ويقولُ: "انظرْ خلفكَ حتى تتأكدَ مما قلتَهُ توًّا يا سيف".

نظرَ سيفٌ ببطءٍ خلفَهُ ليجدَ ذلك الكائنَ الذي رآهُ من قبلُ، لا يعلمُ هل قد كان رآهُ في حلمٍ أم علمٍ حقًّا. وقالَ لوليد: "الآنَ قد رأيتُ ما رأيتَ يا وليد".

فنظرَ وليدٌ إلى سيفٍ وهو يقولُ: "لم أكن أتوقعُ أن أرى هذا أمامَ عيني. فذلك الطولُ وتلك المخالبُ، فهي ليستْ أظافرَ، وتلك العباءةُ السوداءُ التي يلتفُّ بها وكأنه شبحُ الموتِ قد أتى لنا".

وبهجمةٍ مباغتةٍ من ذلك الوحشِ الذي أمامَ الاثنينِ، سيفٍ ووليدٍ، ليغرسَ تلك المخالبَ في صدرِ وليدٍ، ويرتفعَ بهِ لأعلى، ويجعلَ قطراتِ الدمِ تسقطُ على وجههِ، ويقومَ بترشفِ دمِ صديقِهِ أمامَ ناظريهِ مباشرةً، فلم يستطعِ الحراكَ، ولم يعلمْ بماذا يفعلُ سوى الصراخِ كالأطفالِ الرضعِ. وهمَّ بالانقضاضِ عليهِ، ولكن طارَ سيفٌ في الهواءِ ليطيحَ محطِّمًا دولابَهُ، وسقطَ أرضًا، واستجمعَ قواهُ بسرعةٍ في فزعٍ، لأنه لا وقتَ للضعفِ، وقامَ بضربهِ عدةَ ضرباتٍ، ولكن لم

يتأثرْ ذلك الشيطانُ بأيٍّ منها، وقامَ بالالتفاتِ إلى سيفٍ في غضبٍ، فشعرَ حينها بالذعرِ لتلك الأنيابِ التي في فمِهِ وهو يصرخُ في وجههِ، وقامَ بضربِ المسكينِ بيدهِ، وكانتْ كفيلةً تلك الضربةُ بجعلِهِ يفقدُ الوعيَ.

المستشفى.....

استفاقَ سيفٌ وهو نائمٌ على إحدى الأسرةِ في إحدى المستشفياتِ التي لا يعلمُ حتى الآنَ كيفَ وصلَ إلى هنا، ولماذا قناعُ الأكسجينِ على وجههِ، فحرَّكَ يدَهُ حتى يتحركَ ويقومَ من مكانِهِ، حتى وجدَ أن يدَهُ مربوطةٌ في حافةِ السريرِ المعدنيِّ، ومغلغلةٌ بالسلاسلِ والكلابشاتِ.

ودخلَ أحدُ الضباطِ ومعهُ اثنانِ من العساكرِ، وأمسكوا بسيفٍ، وقالَ الضابطُ: "الآنَ استعدتَ وعيكَ، فلتخبرْنا يا دكتور ماذا فعلتَ بصديقِكَ، وكيفَ لكَ بقتلهِ بتلك الطريقةِ البشعةِ؟"

كان متوسطَ الطولِ، يبدو على وجههِ غضبٌ وكأنهُ لا يبتسمُ أبدًا، بشرتهُ سمراءُ، شعرهُ أسودُ مجعدٌ، متغطرسٌ في معاملتِهِ مع الناسِ، ليسَ بالقصيرِ ولا بالطويلِ، كان له كرشٌ صغيرٌ رغم نحافةِ جسدِهِ، يرتدي معطفًا من الجلدِ البنيِّ وبيدِهِ سيجارةٌ وكأنهُ لا يهتمُّ بأنهُ في مستشفى.

سيف: "ماذا تقول؟ ماذا تعني بقتلي لصديقي؟"

الضابط الذي علمتُ فيما بعدُ أن اسمَهُ منتصرٌ قال:

"يا دكتور يا محترم، أنتَ قمتَ بتمزيقِ جسدِ صديقِكَ الدكتورِ وليدٍ وأخذتَ أعضاءَهُ".

فصرخَ سيفٌ وقالَ لهُ بغضبٍ: "وكيفَ وجدتَني يا حضرةَ الضابطِ عندَ اكتشافِ الجريمةِ؟"

الضابط قال: "كان مغمًى عليكَ بجانبِهِ".

سيف: "وهل تظنُّ أنه لو كنتُ القاتلَ كنتُ جلستُ بجانبِهِ ونمتُ؟ يا لكَ من ضابطٍ حقًّا".

الضابط: احترمْ نفسَك يا دكتور، والزَمْ حدودَك. أنت الآن مجرمٌ ومتهمٌ، ولستَ دكتورًا في نظري ولا في نظرِ القانون.

سيف: ساعدني وافهمْ منِّي، وخذْ أقوالي. صدقْني، لن أكذبَ عليك في حرفٍ واحدٍ، ولكنْ ساعدني.

منتصر: قلْ ولا تتصرفْ وكأنك بريء؛ فلن أستمعَ لكلامِك حتى أتأكدَ من صحتِه أولاً، وأعرفَ مدى حقيقتِه ، وكذبِه من صدقِه.

سيف: حسنًا، سأروي لكَ كلَّ شيءٍ الآن.

وبعد مرور ساعةٍ ونصفٍ، وهو يروي له كلَّ ما حدث، بدأ من الحجرِ الذي تمَّ رميُه أمام المستشفى وصولاً إلى اللحظة الحالية.

منتصر: وكيفَ تريدُ مني أن أصدقَ مثلَ هذا الكلام يا دكتور؟ فهذا لا يحدثُ إلا في الأفلام!

سيف: لكَ أن تسألَ عمَّ مسعود، الرجلَ الذي أحضرَ لي الحجرَ والورقة. ولو كان صديقي على قيدِ الحياةِ، لكان أكدَّ لكَ كلَّ شيءٍ، وهو خيرُ شهيدٍ.

منتصر: الله يرحمه. فقد وجدناهُ بدونِ قطرةِ دماءٍ واحدةٍ ولا أثرَ لأعضائه. فلم نجدْ سوى آثارِ آلةٍ حادةٍ في وجههِ وصدرِه.

سيف: الله يرحمه. فقد كان أعزَّ أصدقائي.

منتصر: أعزُّ أصدقائِكَ وقمتَ بتمزيقه! كيف؟ وإنْ لم يكنْ صديقَك كما تقول، ماذا كنتَ ستفعل؟

سيف: لم أفعلْ شيئًا مما تظنه. خذْني إلى البيتِ حتى تطَّلعَ على المذكراتِ التي جاءتني، واسألْ عمَّ مسعود، الذي أحضرَها لي، إن كنتَ تظنُّ أنني من ألَّفها.

منتصر: أليس من الممكنِ أن يكونَ مسعودُ أحدَ شركائك؟ فمن الذي نقلَ الأعضاءَ وأخذَ الدماء؟

سيف: نسألُه، ويأتي لنا بشهودٍ أنه كان في مكانِه، أو نراجعُ كاميراتِ المراقبةِ حتى نتأكدَ من أنه لم يتحرك.

منتصر: أحضرْ لي تلكَ المذكراتِ أولاً، ونرَ ما بها يا دكتور.

سيف: هي في الشقة. فلنذهبْ لنحضرَها ونقرأَها.

منتصر: لا، لا. ستكونُ أنتَ هنا معي، ويذهبُ أحدُهم لإحضارِها.

سيف: حسنًا، هي فوقَ المكتبِ في غرفةِ النوم. أرسلْ من يحضرُها ونقرأُها.

وأمرَ الضابطُ بالفعلِ الرجالَ بالذهابِ لإحضارِ المذكراتِ. انتظروا ما يقاربُ الساعتين حتى أتى أحدُ الرجلين اللذين ذهبا لإحضارِها، جاءَ مسرعًا مفزوعًا وعلى وجههِ دماءٌ كثيرةٌ. كان يلتقطُ أنفاسَه بصعوبةٍ وقال:

الرجل: إنه ملعون! إنه ملعون! لا تذهبوا هناك! هنالكَ وحشٌ يقيمُ في تلكَ الشقةِ الملعونة! ثمَّ سقطَ فورًا.

منتصر: ماذا هناك يا سيفُ في شقتِك؟ يجب أن تخبرَني، وإلا...

سيف: وإلا ماذا؟ ألم تسمعْ الرجلَ ماذا قال؟ ألم تتأكدْ حتى الآن أنني لم أكذبْ؟

وبعد مرور ساعةٍ، لم تكتملْ الساعةُ حتى عاد وعيُ الرجلِ وقال:

الرجل: الدكتورُ لم يكذبْ.

منتصر: ماذا حدث؟ أخبرني، وماذا رأيتَ؟

الرجل: لم أرَ شيئًا. كنتُ أقفُ بالخارجِ، ولم تمضِ لحظاتٌ حتى سمعتُ صراخَ إسماعيلَ وهو ينازع. دخلتُ مسرعًا لأجدَه محطَّمَ الرأسِ، كانتْ مهشمةً وعيناهُ منزوعةً ودماؤهُ مسحوبةً. كلُّ هذا حدثَ في أقلَّ من دقيقتين. لم أستوعبْ، ففزعتُ وهربتُ مسرعًا.

سيف: تأكدتَ يا حضرةَ الضابط؟ ألم أقلْ لكَ أنَّ كلَّ ذلك ليس بفعلِ بشرٍ، إنما شيطانٌ خبيثٌ بدأ معه كلُّ هذا من قراءةِ تلكَ المذكراتِ اللعينةِ التي وصلتني من أحدِهم؟ فإنَّ صاحبَ تلكَ المذكراتِ إما هو المجرمُ القاتلُ أو ضحيةٌ هو الآخر.

منتصر: لا أصدقُ ذلك. قد يكونُ أحدُ أفرادِ عصابتِك في الشقةِ، وعند دخولِ الرجلِ قتله.

سيف: لازلتَ تقولُ عصابةً ورجالًا؟ حقًا؟ بعد كلِّ ما أخبرتُكَ به أنا وأحدُ رجالكَ؟

الرجل: يا باشا، حقًا هذا ليسَ بفعلِ بشرٍ! لم ترَ ما حدث.

منتصر: وأنتَ لم ترَ كذلك، فلا تقلْ شيئًا آخر، وإلا اعتبرتُك شريكًا له، وأنك من قتلتَ الرجلَ الذي كان معكَ.

الرجل: كيف لي أن أقتلَ صديقي إسماعيلَ وأنا لم أدخلْ حتى تلكَ الشقةَ إلا بعد صراخه؟

منتصر: ما اسمُك؟

الرجل: أنا طه، يا باشا. أنسيتَ اسمي؟

منتصر: اسمعْ يا طه. إنْ لم تغلقْ فمكَ القبيح، سأقتلعُ لسانَك. فإنك تزعجني حقًا!

سيف: هيا، أنا بخيرٍ الآن وأستطيعُ التحركَ. لنذهبْ إلى الشقةِ ونحضرَ تلكَ المذكرات.

وَصَلَ بالفعلِ الإِثْنَيْنِ إِلَى الشَّقَّةِ، وَوَجَدُوا الكِتَابَ فِي مَكَانِهِ لَمْ يَتَحَرَّكْ، وَلَكِنْ كَانَتْ هُنَاكَ بَعْضُ بُقَعٍ وَقَطَرَاتِ الدِّمَاءِ عَلَيْهِ، مِمَّا يُوَضِّحُ أَنَّ إِسْمَاعِيلَ قَدْ وَصَلَ إِلَيْهِ وَقَرَأَ مِنهُ أَيْضًا. وَجَلَسَ سِيفٌ وَمُنْتَصِرٌ لِيُكْمِلَا القِرَاءَةَ فِي تِلْكَ المُذَكَّرَاتِ.

***

وَبِالْفِعْلِ قَدْ أَعْجَبَتْ صَدِيقِي ٱلْمُخْلِصَ وَكَانَ ٱلْوَحِيدَ مِنْ رَوَيْتُ لَهُ تِلْكَ ٱلْمَقْطُوعَةَ مِنَ ٱلْقَصِيدَةِ، وَجَهَّزْتُ ٱلْعُدَّةَ وَشَدَّدْتُ ٱلْهِمَّةَ لِعَمَلِ فِيدْيُو إِحْتِرَافِيٍّ حَتَّىٰ أَرْفَعَهُ عَلَىٰ ٱلْيُوتِيوبِ. وَكُنْتُ جَالِسًا عَلَىٰ مَكْتَبِي، وَعِندَ رَفْعِي لِلفِيدْيُو عَلَىٰ ٱلْإِنْتَرْنِتِ، رَنَّ هَاتِفِي قَبْلَ أَنْ أَضْغَطَ زرَّ الإِرْسَالِ بِثَانِيَةٍ وَاحِدَةٍ. فَفَزِعْتُ لِأَنَّنِي كُنتُ مُنْدَمِجًا بِكُلِّ حَوَاسِّي وَفَرَحَتِي بِالْفِيدْيُو، فَوَجَدتُ صَدِيقِي عُمَرَ هُوَ ٱلْمُتَّصِلُ. فَمَا قُلْتُ غَيْرَ "أُلُّو" حَتَّىٰ أَسْمَعَ صُرَاخًا شَدِيدًا وَصَوْتَ عُمَرَ يَقُولُ: "لَا تُسْمِعْهَا لِأَحَدٍ، لَا تَجْعَلْ أَحَدًا يَسْمَعُ تِلْكَ ٱلْقَصِيدَةَ ٱللَّعِينَةَ، فَهُوَ سَيَقْتُلُنَا يَا لَعِينٌ، سَيَقْتُلُنِي أَوَّلًا حَتَّىٰ يَنْتَهِيَ مِنْكَ وَيَقْتُلَكَ بَعْدِي!"

وَقُطِعَ ٱلْإِتِّصَالَ بَعْدَ صَرْخَةٍ مُخِيفَةٍ مِنْ عُمَرَ، صَدِيقِ عُمُرِي وَصَدِيقِ الطُّفُولَةِ ٱلَّذِي مَاتَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَلَمْ أَعْرِفْ لِمَاذَا وَمَا حَصَلَ لَهُ غَيْرَ أَنَّنِي عَلِمْتُ تَحْذِيرَهُ لِي مِنْ ٱلْقَصِيدَةِ. فَقُمْتُ بِإِلْغَاءِ ٱلْإِرْسَالِ حَتَّىٰ أَفْهَمَ مَا عَلَاقَةُ ٱلْقَصِيدَةِ بِمَوْتِ صَدِيقِي.

وَذَهَبْتُ وَرَأَيْتُ مَا حَدَثَ لَهُ. فَقَدْ أَتَتِ ٱلشُّرْطَةُ وَلَكِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مَنْعِي أَحَدٌ مِنْ رُؤْيَةِ صَدِيقِي. مَا حَدَثَ لَهُ كَان كَالآتِي كَانَ لِسَانُهُ قَدْ أُقْتُلِعَ مِنْ مَكَانِهِ وَنُحِرَتْ رَقَبَتُهُ حَتَّىٰ وَصَلَتْ إِلَىٰ فَقَرَاتِ رَقَبَتِهِ. مَا تِلْكَ

ٱلْآلَةِ ٱلْحَادَّةِ ٱلَّتِي قَدْ تَفْعَلُ ذَلِكَ بِضَرْبَةٍ وَاحِدَةٍ؟ وَلِمَاذَا أُقْتُلِعَ لِسَانُهُ؟ وَتِلْكَ ٱلدِّمَاءُ ٱلْجَافَّةُ بِجَانِبِهِ، وَلَا أَثَرَ لِوُجُودِ دِّمَاءٍ فِي جَسْدِهِ وَعُرُوقِهِ وَشَرَايِينِهِ وَأَطْرَافِهِ ٱلْمُكْسَرَةِ وَٱلْمُلْتَوِيَةِ بِشَكْلٍ مَخِيفٍ وَمُفَزِّعٍ؟ مَا تِلْكَ بِأَفْعَالِ بَشَرٍ؟

بَكَيْتُ كَثِيرًا لِفِرَاقِ صَدِيقِي بِذَلِكَ ٱلْمَنظَرِ، وَفِي وَسَطِ كُلِّ تِلْكَ ٱلْأَجْوَاءِ وَٱلْحُزْنِ وَٱلْعُوَيْلِ وَتَحْقِيقَاتِ ٱلشُّرْطَةِ، لَمْ أَجِدْ سَبِيلاً لِشَيْءٍ. تَرَكْتُ كُلَّ شَيْءٍ وَذَهَبْتُ لِلْبَيْتِ. لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ فِي ٱلْمَنزِلِ، كُلُّهُمْ ذَهَبُوا لِعَزَاءِ وَالِدِ عُمَرَ. فَقَدْ كُنَّا مُقَرَّبِينَ جِدًّا مِنَ الطُّفُولَةِ. وَلَمْ أَحْضِرْ جَنَازَتَهُ حَتَّىٰ مِنَ ٱلْحُزْنِ ٱلْعَارِمِ ٱلَّذِي إِجْتَاحَ قَلْبِي و وُجْدَانِي، لِأَنَّنِي شَعَرْتُ بِذَنْبٍ لَا أَعْلَمُ لِمَاذَا، بَعْد، وَلَكِنَّنِي أَنَا ٱلْسَبَبُ بِالتَّأْكِيدِ فِي قَتْلِهِ بِتِلْكَ ٱلطَّرِيقَةِ ٱلْبَشِعَةِ. فَهُنَاكَ رَابِطٌ بَيْنَ مَوْتِهِ وَتِلْكَ ٱلْقَصِيدَةِ، و ذَلْكَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلَّذِي رَأَيْتُهُ مُسْبَقًا، وَلَمْ يُطْلِعْهُ عَلَىٰ تِلْكَ ٱلْقَصِيدَةِ أَحدٌ غَيْرِي.

ولكنني قُلت، مع عدم اِحترامِي للبَشر على هذه الكرة الأرضية الصغيرة المليئة بالكراهية والنِفاق والتعالي والجهل والطمع. ومن وجهة نظري المتواضعة التي لا قيمة لها، أن من مات نجى من هذه الحياة البائسة.

ولكن مكالمته الهاتفية الأخيرة جعلتني أشعر بأنني من قتله. استلقيت على سريري باكيًا ومرَّت لحظات حتى قُلتُ لنفسي: لِأَرَى ما ذلك الكتاب الذي بدأ معه كل شيء؟ وما كان بعد التحذير؟ ولماذا كان هناك تحذير في أول الكتاب؟"

***

مُنْتَصِر: يا دُكْتُور، مَا هَذَا؟ نَحْنُ حَتَّى لَمْ نَعْرِفْ اِسْمَهُ بَعْدُ، وَتِلْكَ الجَرِيمَةِ الَّتِي لَا يَتَخَيَّلُهَا عَقْلٌ! لِمَاذَا تُرِيدُ مِنِّي أَنْ أُصَدِّقَ كُلَّ هَذَا وَمِثْلَ هَذَا الْكَلَامِ؟

سيف: لَا أَعْلَمُ لماذا لَمْ يذكر اِسْمَهُ حَتَّىٰ الآنَ، ولكن أَلَا تَصْدِقُ أَنَّ كُلَّ هَذَا حَقِيقِيٌّ حَتَّىٰ بَعْدَ مَا حَدَثَ لِلدُّكْتُورِ وَلِيد وَالرَّجُلِ ٱلْمِسْكِينِ إِسْمَاعِيل؟

مُنْتَصِرٌ: لِأَنَّ كُلَّ هَذَا دَرْبٌ مِّنْ دُرُوبِ ٱلْخَيَالِ، وَلَنْ أَقْنَعَ بِهَذَا حَتَّىٰ أَرَىٰ بِأُمِّ عَيْنِي!

سيف: وَجَدتُ ٱلْحَلَّ إِذًا! بِمَا أَنَّكَ غَيْرُ مُقْتَنِعٍ وَأَنَّ مَا يَحْدُثُ بسبب تِلْكَ ٱلْقَصِيدَةِ ٱلَّتِي مَاتَ بِسَبِبِهَا صَدِيقُ الشَّابِّ وَصَدِيقِي أَنَا، بَعْدَ أَنْ قَرَأَهَا فَوْرًا، إِذًا فَلْتَقْرَأْ ٱلْقَصِيدَةَ بِنَفْسِكَ وَنَرَىٰ مَا يَحْدُثُ بَعْدَ ذَلِكَ!

مُنْتَصِرٌ: مُوَافِقٌ! وَلَكِنْ مَاذَا سَيَحْدُثُ إِذَا كَانَ هَذَا الحديث حَقِيقِيًّا؟

سيف: سَتَمُوتُ مَوْتَةً بَشِعَةٍ شَنيعةٍ مِثْلَ بَاقِي مَنْ مَاتُوا، وَحِينَئِذٍ لَن تَبْقَىٰ لِتُسْتَكْمِلَ التَّحْقِيقَ مَعِي أَوْ مَعَ غَيْرِي سَوَاءٌ كَانَ ٱلْفَاعِلُ أَمْ لَا!

مُنْتَصِرٌ: وَلَكِنِ ٱنتَظِرْ! كَيْفَ مَاتَ إِسْمَاعِيلٌ وَهُوَ لَمْ يَقْرَأْ ٱلْقَصِيدَة؟ هُوَ لَمْ يَفْعَلْ شَيْئًا إِلَّا أَنَّهُ ذَهَبَ لِيُحْضِرَ ٱلْمُذَكَّرَاتِ!

سيف: وَكَيْفَ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ لَمْ يَقْرَأْ؟ أَلَمْ تَرَ ٱلدِّمَاءَ عَلَىٰ تِلْكَ ٱلصَّفَحَاتِ بِدَاخِلِهَا أَمَامَ صَفْحَةِ ٱلْقَصِيدَةِ؟ يَا حَضْرَةَ ٱلضَّابِطِ!

مُنْتَصِرٌ: حَسَنًا، سَأَقْرَأُ ٱلْقَصِيدَةَ، وَحَتَّىٰ نَتَأَكَّدَ أَنَّ كُلَّ هَذَا لَيْسَ بِفِعْلِ بَشَرٍ، سَأَكُونُ فِي إِحْدَىٰ غُرَفِ ٱلْحَجْزِ بِدَاخِلِ قِسْمِ ٱلشُّرْطَةِ حَتَّىٰ لَا يَسْتَطِيعُ وُصُولُ أَحَدٍ إِلَيَّ وَنَرَىٰ مَا يَحْدُثُ حِينَئِذٍ.

سيف: وَلَكِنْ اجعَلْ أَحَدًا يَكُونُ خَارِجَ ٱلْبَابِ حَتَّىٰ يَكُونَ شَاهِدًا عَلَىٰ مَا سَيَحْدُثُ، وَقَدْ يَسْتَطِيعُ إِنْقَاذَكَ إِنْ حَدَثَ شَيْءٌ لَكَ.

مُنْتَصِرٌ: حَسَنًا، اِتَّفَقْنَا إِذًا! وَإِنْ كُنْتُ بِخَيْرٍ بَعْدَ ذَلِكَ، سَأَبْحَثُ خَلْفَكَ حَتَّىٰ أَكْتَشِفَ سِرَّكَ ٱللَّعِينِ وَأَضَعَ حَبْلَ ٱلْمِشْنَقَةِ حَوْلَ رَقَبَتِكَ بِيَدَيَّ!

سيف: لَكَ ٱلْحَقُّ فِي ذَلِكَ، إِنْ لَمْ يَحْدُثْ لَكَ شَيْءٌ، حِينَئِذٍ سَأَعْتَذِرُكَ، فَهُوَ فِعْلًا امرٌ لَا يُصَدَّقُ!

منتصر: لنكمل التحقيق إذًا، وتُوضَع في الحجز.

سيف: لا، لن أكون في الحجز، ولا شيء من هذا القبيل، فأنا لم أفعل شيئًا.

منتصر: وكيف لي أن أخلي سبيلك، ولا شيء يُزيل التهمة عنك؟

سيف: وأيضًا، لا شيء يدل على إدانتي بذلك. ستضعني في غرفة الحجز لأُعرَض على النيابة بأي دليل؟

منتصر: حسنًا إذًا، ليكن ذلك. ستكون تحت الأنظار حتى نكتشف دليلاً يُدينك أو يؤكد صدق ادعائك.

سيف: فليكن ذلك.

وبالفعل، مرَّ اليوم، وترك الضابط سيف في شقته. وفي اليوم التالي، ذهب الدكتور سيف وبقي مع المرضى في المستشفى، ومارس يومه بالشكل المعتاد حتى يكون تحت أنظار كاميرات المراقبة، ومن يراقبونه تحت اسم القانون من مخبرين وعساكر وغِفْرَة متنكرين، حتى يُمسكوا بحركة يرتكبها تكون غير منطقية أو غير مألوفة.

ذهب الضابط منتصر إلى غرفة الحجز بالفعل كما اتفق الاثنان.

يا سيف، أين كنت طيلة هذه المدة؟ أين كنت مختفيًا؟

قالتها الدكتورة هبة.

سيف: (في شرود وتفكير) ها؟ لا، أبدًا. كنت حزينًا فقط بعد موت الدكتور وليد، فبقيت في منزلي قليلاً.

هبة: هل مات حقًا الدكتور وليد؟

سيف: أجل، مات بطريقة وحشية. ألم تعلمي بذلك؟

هبة: لم أعلم من أحد سوى من المريض الذي أخبرتك عنه. فهو قال لي إن أحد الأطباء سيموت ممزقًا بعد قراءة اللعنة.

سيف: وماذا أيضًا؟

هبة: فقلت له: من هذا الذي سيموت؟ وأي لعنة تتحدث عنها؟ فقال لي في عجلة: بأنني سأعرف كل شيء في الوقت المناسب، وتركَني ونظر إلى الحائط.

سيف: من ذلك المريض؟ أخبريني باسمه، وأي لعنة يقصد بقراءتها؟

هبة: إنه ذلك الفتى الذي يعاني من هلاوس بصرية وسمعية، المدعو علي.

سيف: أوصليني به الآن. هيا، يجب أن أراه حالاً.

هبة: لماذا كل هذا الاهتمام به هكذا؟ أخبرني ماذا يحدث؟

سيف: لا شيء.

هبة: بل هناك أشياء كثيرة تحدث. أنت مهتم به الآن، وهو يقول بأنه يذهب إلى المقابر ليلاً وعلم بموت وليد، وأنت تُنكر الآن ما يحدث!

سيف: كما أخبركِ الفتى، ستعلمين في الوقت المناسب.

هبة: أخبرني الآن، على الأقل، لماذا تريد أن تراه هكذا؟

سيف: لأن وليد مات بالفعل ممزقًا بعد قراءة قصيدة ملعونة خرج على إثرها شيطان لعين مزقه أمامي. كيف له أن يعلم كل تلك الأشياء وحده؟ يجب أن أعلم، ولِمَ لم تخبريني يا هبة من قبل بذلك الحديث؟

هبة: لأنه حدث ذلك النقاش في آخر يوم أتيتَ فيه إلى المستشفى، ولم تأتِ من حينها. وكنت أنوي أن أخبرك به.

سيف: في أي وقت تحديدًا من اليوم؟

هبة: لا أتذكر الساعة الآن، ولكنه كان ليلاً، بعد أن صاح في المكان فأسرعت إليه لأعطيه حقنة مهدئة.

سيف: أنتِ تعلمين بكل تلك الأشياء الغريبة التي تحيط بذلك الشاب. لماذا لم تأخذي بكلامه؟

هبة: لأنني لم أتوقع أنه صادق. فهو مريض، فلم أشغل بالي بما قاله حتى، يا سيف.

سيف: حسنًا. أنا دكتور مثلكِ، وكنتِ تستشيرينني من قبل في أمره، صحيح؟

هبة: بالفعل.

سيف: إذًا، لتأتي لي بملفه الصحي وكل التقارير الخاصة به منذ دخوله إلى المستشفى حتى أعرف عنه بعض الأشياء وأقيمه نفسيًا وصحيًا.

هبة: ولكن يا دكتور، هذا مخالف لآداب المهنة. فتلك المعلومات خاصة بالمريض، ويجب ألا يطلع عليها أحد غيري.

سيف: لن نخبر أحدًا بذلك يا هبة. فهذا شيء خطير الآن.

هبة: حسنًا، حسنًا. ولكن يجب أن يكون في تكتم تام، وإلا سيتم معاقبتي على ذلك.

سيف: وعد مني، سأقوم بإرجاع ملفه سريعًا. سأقرأه في وقت وجيز وسأعطيه لكِ مرة أخرى.

هبة: لي الحق الآن أن أطلع على كل ما يدور حول ذلك المريض.

سيف: على ما يبدو يا هبة أنه ليس مريضًا.

هبة: وكيف ذلك؟ وأنت بعينك من قال إنه مريض!

سيف: سنتأكد من كل ذلك الآن بعد أن نرى ما يدور حوله من غرائب.

وأتت له هبة بما طلب، وذهب ليقرأ ملف ذلك المريض في مكتبه.

ولكن لننظر للضابط الذي وضع نفسه في الحجز حتى يرى هل سيموت أم لا، كما حدث مع هؤلاء الناس المساكين، وكان ممسكًا بالمذكرات في غرفة الحجز المظلمة وحده. وخارج الباب، كان هناك أحد الرجال يقف ليحرس الضابط من الموت. ولكن، كيف له أن يحميه من شبح مخيف، شيطان دموي يمزق تمزيقًا ولا يُبقي أثرًا؟

الرجل بالخارج إنه مختار. كان قويَّ البنية حقًا، طويل القامة باستقامة، وله شارب ملتف. طيلة الوقت، يقوم بإبرام شاربه في مشهد يوحي بالقوة، عريض المنكبين.

وجلس مُنتَصِرٌ يقرأُ المُذَكِّراتِ، وقالَ في نفسِهِ: "سأُكْمِلُ تلك الكلماتِ الغريبةِ والعجيبةِ في ذلك الكتابِ الذي تَحَدَّثَ عنه الفتى حتى أعلَمَ محتواه، وبعدها أقرأُ القصيدةَ تلك التي تدورُ كلُّ الأحداثِ حولَها". وأخذ يقرأُ...

وقرأَ التحذيرَ مرةً أخرى، ولكنْ ما لم ينتبهْ له في المرةِ الأولى أنَّ هناكَ بعضَ الكلماتِ بخطِّ اليدِ، بخطٍّ صغيرٍ جدًا، مكتوبٌ بالطولِ بينَ جانبِ الكتابِ وكلماتِ الكتابِ نفسه. وكانتِ الكلماتُ:

"لا تقرأْ هذا، لا تقرأْ هذا، لا تقرأْ هذا، احذرْ، ليس هناكَ مجالٌ للرجوع، إنَّه شيطانٌ خادمٌ لشيطانٍ أكبرَ وأقوى، إنَّه سَهْدانُ، ويقولون له السَّحَرَةُ زئيرُ، خادمُ الشيطانِ الأقوى والمُفْزِع، الشَّرِهُ للدماءِ، المحبوسُ من قديمِ الأزلِ. إنَّه ظامٌ، الشهيرُ بالقطِّ الأسودِ. لا تقرأْ أكثرَ من كلماتِي، وإياكَ أنْ تُفْتَنَ بكلماتِهِ وصفقاتِهِ".

فحَدَّثَ نفسَهُ بقلقٍ وريبةٍ: "أَيُعْقَلُ أن تكونَ تلك الكلماتُ سببًا في قتلِ الناسِ؟ ولكنْ لماذا لم يقتلِ الدكتورُ سيفٌ أيضًا، وذلك الفتى صاحبُ المذكراتِ؟ لماذا؟ ماذا يكمنُ وراءَ تلك الأفعالِ والأشياءِ الغريبةِ؟ لا أفهم!".

لكنَّ تلك الكلماتِ التحذيريةَ توحي بخوفٍ وزَعْرٍ شديدٍ. حقًا، سَبَّبَت بداخلي ترددًا فيما أنا مُقْدِمٌ عليه، ولكنْ لا، كيفَ لي أن أُصَدِّقَ مثلَ تلك الأشياءِ؟ لن أَنْحَازَ لتلك الأفكارِ والشعوذاتِ والخرافاتِ. فلابدَّ من وجودِ فاعلٍ لكلِّ ذلك.

ونظرَ الضابطُ مُتَفَحِّصًا المذكراتِ بيده، وأخذَ يُقَلِّبُ عينَيْهِ في أركانِ الحجرةِ وتلك الفتحةِ الصغيرةِ بجانبِهِ أعلى الحائطِ، التي تُطِلُّ على الخارجِ، فكانتْ تَسمحُ بدخولِ هواءِ الليلِ ورؤيةِ القمرِ الذي شعرَ لرؤيتِهِ أولَ مرةٍ بخوفٍ ، و نورُ اللمبةِ الأصفرِ الباهتِ

الضَّعيفِ... كانت كلُّ الأجواءِ من حولِ مُنتَصِرٍ في تلك اللحظةِ مخيفةً مُقْلِقَةً، لا تُبَشِّرُ بخيرٍ إطلاقًا.

ولكنْ حَدَّثَ نفسَهُ بشجاعةٍ، متحدِّيًا نفسَهُ بأنَّهُ سيفعلُ ذلك ولنْ يستمعَ لتلك الهواجسِ الحمقاءِ بداخله. وأمسكَ بها وقال: "سأقرأُ، ولكنْ أولاً لأشربَ بعضًا من الماءِ وأُدَخِّنَ آخرَ سيجارةٍ في تلك العلبةِ لتكونَ آخرَ سيجارةٍ بالعلبةِ وآخرَها في حياتي، إنْ صَدَقَ قولُ الدكتورِ وفتى المذكراتِ، ولأنَّ آخرَ سيجارةٍ أيضًا لها طَعْمٌ مُخْتَلِفٌ عن باقي السجائرِ في العلبةِ".

وجاءَ الليلُ على الدكتورِ سيفٍ أيضًا في المستشفى، ودخلَ مكتبَهُ وأغلقَ البابَ، وفتحَ ذلك الملفَّ الخاصَّ بالمريضِ الذي عَلِمَ بموتِ الدكتورِ وليدٍ.

كانَ اسمُ المريضِ علي مسعود حسانين، وكان عمرُهُ في العقدِ الثاني من عمرِهِ. شُخِّصَ بأمراضٍ عدةٍ، ولكنْ ما أُثبِتَ عليه حاليًا هو تلك الهلاوسُ السمعيةُ والبصريةُ الناتجةُ عن اضطرابٍ في المخِّ والشخصيةِ واضطرابِ ما بعدَ الصدمةِ (PTSD). وكانتْ تلك الصدمةُ هي وفاةُ أحدِ الأصدقاءِ المقرَّبين له بطريقةٍ وحشيةٍ وإلقاءُ اللومِ على ذاتِهِ.

وفجأةً سمعَ طرقًا على بابِ المكتبِ، ففَزِعَ من مجلسِهِ، ولم يستطعْ أخذَ نفسِهِ. وقرَّرَ أنْ يُغْلِقَ ذلك الملفَّ حالًا حتى يعلمَ مَنِ الطارقُ. فَعَلِمَ أنَّهُ دكتورُ المناوبةِ الليليةِ قد أتى. فأخذَ الملفَّ ووضعَهُ في

ملابسِهِ، وفتحَ البابَ وخرجَ، واعتذرَ من الدكتورِ الآخرِ الذي كان اسمُهُ سيد. وقالَ إنَّهُ كان نائمًا فلمْ يشعرْ بالوقتِ.

خرجَ سيفٌ وترَكَ المستشفى وهو يُفَكِّرُ كثيرًا جدًا فيما قرأ. وقال في نفسِهِ: "إنِّي قد عَلِمْتُ كلَّ شيءٍ، ورَبَطْتُ الأحداثَ ببعضِها". وخرجَ من بابِ المستشفى هائمًا، وقرَّرَ أنْ يركبَ التاكسي، ولكنْ لنْ يذهبَ إلى شقتِهِ، فمن المؤكَّدِ أنَّها شُمِعَتْ بالشمعِ الأحمرِ حتى لا يدخلَها أحدٌ لما حدثَ بها من مسرحِ الجريمةِ. وكيفَ سينامُ بعدَ الآن؟

وجَبَ عليهِ إرجاعُ الملفِّ للدكتورةِ هبةَ كما وعدَها، حتى لا يُضِرَّها في عملِها، ولا يحتاجُ للملفِّ مرةً أخرى، فقد عَلِمَ مَن هو الشخصُ صاحبُ المذكراتِ وكيفَ وصلَتْ له تلك المذكراتُ. فيجبُ أنْ يرى الفتى، وليسَ ملفَّهُ بعدَ الآن.

وذهبَ إلى الدكتورةِ هبةَ في منزلِها بالفعلِ، وسلَّمَ عليها وأخرجَ لها الملف و شكرها علي صنيعها معه فلولا مساعدتها له ما كان ليعلم هوية الفتي.

هبة: "سيف، لن تذهبَ حتى تُخبِرَني بكلِّ شيءٍ. يجبُ أن أعلَمَ، لا يَصِحُّ أن أكونَ جاهلةً بما يحدُثُ من حولي هكذا!"

سيف: "لا يا هبة، من الأمانِ لكِ ألَّا تَعلَمي شيئًا."

هبة: "لا تُقرِّرْ بدلاً مني! وجبَ عليكَ إبلاغي بعد مساعدتي لكَ. ولا تنسَ أنَّ ذلك الملفَّ كان لأحد المرضى خاصَّتي. أريدُ أن أعلمَ ماذا يدورُ حولَه، ولماذا طلبتَ ملفَّهُ؟ وما تشخيصُكَ له الآن؟"

سيف: "ذلك الفتى سليمٌ يا هبة. نحنُ مَن كنا جهلةً؛ فكلُّ شيءٍ أرجعناهُ للعلمِ، ولم نَنظُرْ ونتفكَّرْ أنَّ هناكَ أشياءَ خارجَ حدودِ علمِنا وفكرِنا."

هبة: "إذًا أخبرني ماذا به حتى أستطيعَ مساعدتَكَ. ذلك المريضُ مريضي، وتلك القضيةُ قضيتُكَ. هل لنا أن نُساعدَ بعضَنا البعض؟ وإنْ لم يكنْ من أجلي، فهو لأجلِ وليدٍ الذي ماتَ - ليرحمه الله. وإياكَ أنْ تنسَى صداقتَنا يا سيف، وأنَّ ما يُهدِّدُ حياتَكَ بالخطرِ، فكذلكَ حياتي!"

سيف: الله يرحمه، كان خير صديق. وقد قُتل... لم يمت يا هبة، بل قُتل بوحشيةٍ مُفزعة، وحشيةٍ ليست بأدميّة.

هبة: وما علاقة ذلك بالفتى، يا سيف؟ أعلِمني الآن.

سيف: لا، أتركي ذلك للصباح؛ فسيطول الحديث، وقد تأخّر الوقت الآن. عليكِ أن تنامي الآن، ونتقابل في المستشفى غدًا، ولكن بعد أن أخبركِ، يجب أن أرى علي بنفسي.

هبة: موافقة، ولكن بشرط.

سيف: وما هو؟

هبة: أن أكون موجودة أثناء ذلك، وأعلم بكل شيء، وأسمع ما يدور بينَك وبينهُ.

سيف: موافق، لسببٍ غير كل ذلك.

هبة: لماذا إذًا؟ ما ذلك السبب؟

سيف: لأنني قد أموت أنا أيضًا مثل وليد؛ فكلّ من علموا بذلك ماتوا، حتى الضابط منتصر، الذي كان يُحقق في قتل وليد، الآن سيكون ميتًا وممزقًا لأنه قرأ تلك القصيدة الملعونة. لذلك وجب أن أُعلمكِ حتى تروي ما حدث لنا أجمعين، وتُحذِري الجميع، وتبتعدي أنتِ خاصةً عن تلك المذكرات وتلك القصيدة وما حولها من لعنات وشياطين.

وتركَ سيف هبة وذهب، وهي متسائلةٌ تُسأل نفسها الكثير من الأسئلة. تركها شاردة الذهن وذهب ليرتاح قليلاً حتى الصباح في أحد الفنادق، ولكن لم يستطع أن ينام. جلس يُربط كل شيء ببعضه، وجلس يكتب كل شيء مخافة الموت ممزقًا هو الآخر.

وذكر أن علي مسعود، ذلك المريض الذي اتضح أنه صاحب المذكرات، هو الفتى صاحب القصيدة التي قُتل بسببها صديقه الدكتور وليد، وإسماعيل، الرجل الذي ذهب لإحضار المذكرات، وغيرهم بالتأكيد.

وأن والده، عم مسعود، ذلك الرجل الذي يجلس على باب المستشفى، أتى لي بتلك الورقة على الصخرة، وخرج معي ليرى هل

ألقيت بالصخرة علامة موافقتي على ذلك أو الرفض، وليس لأنه ردّ على ذلك الذي ألقى بالحجر؛ فقد كان هو من الأساس. وأتى لي بالطرد الذي لم يكن عليه طوابع بريد والذي استلمه لي.

كيف لي أن أتغاضَى عن ذلك؟ كيف يأتي لي طرد ويستلمه غيري وليس عليه طوابع بريد؟ وكيف لم يخطر ببالي أن أشاهد كاميرات المراقبة حتى أرى من أتى بالطرد؟ ذلك الطرد اللعين الذي احتوى على مذكرات تحمل في طياتها اللّعَنات والموت والعذاب لكل من يقرأها أو يعلم بها حتى ، مع كتابٍ أتى من الجحيم. وكيف لهبة الغبية لم تلاحظ اسم مسعود الواقع بعد اسم المريض؟ ولكنه التمس العُذر لها، فهي طيبة القلب حقًا، وبالتأكيد ظنّت أنه تشابه أسماء. وإضافةً إلى أن الطرد أتى لسيف ولم يأتِ لها هي، فكانت هي الطبيبة، وكان سيف المُتورِط المُطالَب بالمساعدة دون أن يعلم من صاحب المذكرات.

وعَزم سيف الأمر وهو أن يذهب في الصباح حتى يتحدث مع علي ويعرف منه ما حدث وما يحدث، وكيف علم بموت وليد. أخذ يستجمع قواه الجسدية والنفسية، ويتخطى كل ما حدث له، وخاصةً موت صديقه أمام عينيه. ولم يُصدقه أحد، ورؤيته لشيطان ماكر وأوصافه البشعة.

***

في قسم الشرطة الذي كان به الضابط منتصر...

كانت الساعة الثالثة فجرًا، وكان يَعُم المكان الصمت. ولكن لنُلقي نظرةً على غرفة الحجز التي كان بها الضابط يقرأ المذكرات والقصيدة المذكورة. هل انتبهت لتلك الجثة الممزقة هناك في تلك الزاوية؟ والرأس التي قُطعت، لا، بل فُصلت تمامًا من مكانها وهُشّمت الرأس لتكون بضع عظامٍ ملطخة بدماء جافة وخلايا من المخ؟ أترى تلك بقع الدماء التي حول الجثة، التي لم يبقَ منها إلا أشلاء؟ وبالتأكيد ترى أيضًا ذلك الشيطان العطِش للدماء وهو يرشف آخر قطرات الدماء بالجثة. تلك المخالب التي تمزق كل ما تأتي عليه، وتلك الأسنان الحادة.

كان الشكل العام أمامك مرعبًا حقًا، أليس كذلك؟ وخاصةً عند رؤيتك لوجه الشيطان المتحلل. ولكن انتظر، هناك أحد ينزل على الدَرَج حتى يصل إلى تلك الغرفة. إنه أحد رجال الشرطة، كان يتجه في صمت حتى يطمئن على الضابط منتصر. وعند وصولِه، وجد الباب مفتوحًا، فظن أنه قد خرج منه. ولكن كاد يرجع للوراء ويعود أدراجه حتى سمع صوت تمزيق وكسر عظام.

شعر الضابط هو الآخر بالفزع والريبة، وقرر أن يرى ما يحدث. ولذلك يقولون إن الفضول قتل الهرة. وتقدم خطواته الثلاث الفاصلة بينه وبين الباب حتى يرى ما يحدث. وما كانت إلا صرخة جعلته يسقط مغشيًا عليه من الرعب والهلع مما نظر ورأى بِأُم عينيه .

تتابعت على إثر تلك الصرخة حركات رجال الشرطة الموجودين في القسم أجمع. ولكن وجدوا أحدهم مُلقى أمام الغرفة، وبداخلها أشلاء لجثة وليست بجثة. لم يستطيعوا تحديد هويتها من كثرة تمزيقها، فكانت كل ذراع مفصولة عن الجسد ومهشمة، وكذلك الأرجل، وكل طرفٍ في إحدى زوايا الغرفة. وأما الجسد، فكان كأنه إحدى الذبائح ويتم تصفيتها، وكانت الأمعاء متناثرة.

ولكن الأغرب من ذلك أن الدماء الموجودة ليست بدماء الجثة كاملة، فما هي إلا القليل من الدماء حول تلك الأشلاء.

وهاج قسم الشرطة بما شاهدوا جميعًا، و وُجِدوا في تلك اللحظة، وأُجمع الكل، وأتى كل من هو مختص في تلك اللحظة للتحقيق والتحقق من ذلك. ولكن كان المنظر والمشهد كفيلاً بأن يقول للجميع إن ذلك ليس بشريًا ولا أدميًا الذى فعل كل هذا بالجثة.

وكان الشاهد على ذلك الضابط الذي شاهد صرخة زئير ذلك الشيطان الملعون. قد فاق من الإغماء، فَروَى ما وجد وشاهد.

وعَلِم سيف بما حدث. فقال: قد كنت متوقعًا ذلك؛ لأنه لم يُصدق أحدًا وجازف بحياته رغم ما سمع مني ومن باقي الرجال. ولكنه حزن عليه جدًا لما حدث له وبجثته.

***

فى إحدى المغارات الموجودة فى كهوف وادي سنور في مصر.

كان الكهف مشتعلاً بالنيران، متوهجًا بالحمم، وكأنه قطعة من جهنم. في الأمام كان هناك عرش ضخم من ذهب وصخر أسود ضخم، وأسفله عظام وجماجم بشرية وغير بشرية. كان يجلس عليه كائن عملاق لا وصف له، متجسدًا على هيئة أبسط من هيئته الحقيقية، وبرغم ذلك كان شكله بشعًا. كان شديد السواد، وعروقه تومض بلون أحمر ناري. عيناه عبارة عن جمرتين من نار ملتهبة، وفوق رأسه تاج... لا، إنها قرون ضخمة ملتفة على رأسه كالتاج. في يده صولجان ضخم ينتهي برأس بشرية مفتوحة من أعلى الجمجمة، تتدفق منها دماء ساخنة طازجة. وكان الكائن مغلّغلاً بالقيود رغم كل ذلك.

وقف "سهدان"، ذلك الشيطان الخبيث، منحنيًا ليبجل سيده، ثم ركع على ركبتيه أمامه.

سهدان: أمرك يا سيدي. لقد اقتربنا من النهاية، حتى أستطيع تحريرك. لم يتبقَّ سوى خمسة عشر ليلة ويأتي القمر الدموي، وأكون قد انتهيت من الثمانية عشر قربانًا. تبقّى القليل يا سيدي "ظام".

ظام: لك مني القوة، يا سهدان، فإنك خادم مخلص. ولا تقلق، لست بمستعجل، فإني أتلذذ بتلك الدماء الآدمية. ولم يتبقَّ سوى القليل من الليالي حتى أخرج بنفسي من تلك الكهوف اللعينة التي حُبست وسُجنت فيها.

سهدان: كان تحريرك سيكون أسرع من ذلك، سيدي، لولا أن البشري علم بالخدعة في اللحظات الأخيرة. كنت سَأَحضُر وأتجسد على كل من يستمع للعهد، وآتيك بدمائهم أجمعين.

ظام: اذهب الآن وأَحضِر من تبقى منهم، ولا تنسَ نفسك من نصيب. خذ منهم لنفسك جَزاءً لما فعلت من عمل رائع.

سهدان: يا لك من كريم، سيدي! لن أتأخر في تحريرك مهما كلّفني الأمر.

***

في الصباح التالي، في المستشفى:

ذهب "سيف" والدكتورة "هبة" ليتقابلا في المستشفى، حيث كانا يعتزمان على زيارة "علي" في حجرته المنعزلة.

سيف: لقد عُثر على الضابط "منتصر" ممزقًا إلى أشلاء.

هبة: يا ستار يا رب! لا إله إلا الله. كيف حدث ذلك؟

سيف: بالتأكيد قرأ القصيدة، ولذلك قتله الشيطان.

هبة: وماذا نفعل الآن؟

سيف: لا، سأفعل وليس سنفعل. لا يمكنني المخاطرة بكِ، يا هبة.

هبة: إذا كان هناك موت، فسنموت معًا بدلاً من أن يموت أحدُنا وحده. سأذهب معك، شئت أم أبيت.

سيف: أشكرك يا هبة حقًا، ولكن يجب أن أعلم ما يحدث الآن وإلا سنموت جميعًا.

هبة: لا عليك، يا سيف. هيا بنا الآن لنرى الفتى ونعلم منه كيف بدأ كل ذلك.

دخل الاثنان معًا حجرة "علي"، التي لم تكن تختلف كثيرًا عن غرفة الحجز في قسم الشرطة، إلا ببعض الاختلافات البسيطة. كانت تحتوي على سرير صغير، والجدران مغطاة بالكامل بمادة عازلة لمنع أذية المريض لنفسه أو ما شابه، كما كانت الإضاءة خافتة.

عندما دخلا، وجداه جالسًا أمامهما. كان شابًا يتضح من شكله أنه في العقد الثاني من عمره، متوسط الطول، لا يتجاوز المتر وسبعين. شعره شديد السواد، وعيناه ضيقتان بعض الشيء. له شامة بين حاجبيه كأنها عين ثالثة، وجرح ملتئم في خده الأيسر يصل إلى شفته، يظهر بوضوح في بشرته القوقازية.

علي: لماذا تأخرت كل هذا يا دكتور سيف؟ كنت أنتظرك منذ مدة.

سيف: كيف لك أن تعرفني؟

علي: والدي يعمل هنا ويعرفك جيدًا، فأخبرني عنك قبل أن يعلم شيئًا عني أو عن قصتي. ظن الجميع أني مجنون ومختل عقليًا، كما ظننتم أنتم أيضًا.

سيف: وأين والدك الآن؟ لم أجده منذ البارحة، ولم يأتِ إلى المستشفى.

علي: لا أعلم.

سيف: وكيف عرفت بموت "وليد"؟

علي: كلما أخذني لتلك المقابر، كان يخبرني بأنه قَتل ومَزق حتى أرتعب. وكان يقول إنه سيفعل بي كذلك. وأخبرني أيضًا أنه سيقتلك أنت كذلك، ولكنه في تلك الليلة قال إنك نجوت لأنك لم تقرأ العهد.

هبة: إذًا، لماذا جعلتَ والدك يفعل ذلك ويأتي بالمذكرات للدكتور سيف بهذه الطريقة؟

علي: قلتُ له إنني سَجلتُ كل شيء في مذكراتي، ووضعتُ الكتاب بجانب المذكرات، وأخبرتُه بأن يُرسل الاثنين لكَ يا دكتور سيف حتى لا تعلم أنني ابنه. لا أستطيع أن أخاطر بحياة أبي وأجعله يقرأ المذكرات أو ذلك الكتاب اللعين. فإن كنتُ على حق والكتاب يحتوي على لعنة، فلن يموت أبي. وإن كنتُ أنا المجنون، فأكون قد حميته أيضًا من القيل والقال. كان يجب أن تقرأها أنتَ وحدك حتى تقول أكنتُ مختلاً أم ماذا؟

هبة: وتقصد، يا مختل، أن تضحي بحياة سيف بدلاً من أن يساعدك؟

علي: كتبتُ التحذيرات اللازمة حتى لا يقرأ ذلك العهد. وبالتأكيد، علمتُ أن أحدهم سيقرأ العهد فيموت، ليعلم إثر ذلك الدكتور سيف أنني لستُ مجنونًا.

سيف: دعك من كل ذلك. لم يرَ أحدٌ قط عم مسعود وهو يدخل المستشفى أو ذلك القسم ليصل إلى غرفتك، ولو لمرة واحدة. كيف له أن يُحدِّثك وتُحدِّثه، وهو لم يَزُركَ قط؟

علي: أتظن أنها المرة الأولى التي أستيقظ فيها وأجد نفسي في المقابر؟ لا، بل حدث ذلك كثيرًا قبل أن يأتوا بي إلى هنا. وأبي يعلم تلك المقابر التي أكون فيها، فينتظرني هناك كل ليلة ليحميني من أي شيء قد يحدث، حتى أعود من تلقاء نفسي إلى هنا مرة أخرى. فقلتُ له في إحدى تلك الليالي أن يفعل ذلك.

هبة: وكيف تذهب إلى المقابر وتعود مرة أخرى؟

علي: ذلك اللعين لا يستطيع قتلي لأنني أنا من أخذتُ معه العهد بغبائي دون أن أدري. فهو يعذبني ويرعبني حتى تظنون أنني مجنون ولستُ عاقلاً. سأخبر الجميع بقصتي وأجعلهم يقرأون العهد ليقتلهم. أي أنه جعلني طُعمًا للقرابين البشرية التي تتلو العهد.

سيف: ولماذا يذهب بك إلى المقابر؟ لماذا لا يرعبك هنا؟

علي: يذهب بي إلى تلك المقابر ليترشف من دمي دون أن أموت، وبعدها يعيدني مرة أخرى بعد أن يُريني الجحيم ويتلذذ بالأدرينالين

الذي أفرزه عند فزعي وخوفي. لذلك، يذهب إلى تلك المقابر. فإن تركني هنا، جاء الأطباء وخدروني.

سيف: ولماذا تلك المقابر تحديدًا؟ لماذا ليست غيرها؟

علي: لا أعلم، لكنه يقيم بعض الطقوس لتحرير شيطان ذو قوة غاشمة، سيده ظام، الملقب بالقط الأسود.

وفجأة، تبيض عينا "علي"، ويرتفع في الهواء ويتحدث بصوت غليظ بشع:

> "قد كُشِف السر وخان العهد. وجب الموت والهلاك لكل من علم به!"

وقفز "علي" من مكانه على "سيف" وأمسك برقبته، وكاد أن يقتلع حنجرته، لكن ما حدث أثناء ذلك كان أغرب.

خرج صوت يردد من خلفهم:

> "أقسمتُ عليكم يا معاشر الأرواح العلوية،
> أقسمتُ عليكم يا معاشر الجن السفلية،
> أقسمتُ عليك يا طارش أنتَ وخُدامك وخُدام حرف الألف،
> وبحق ما أقسمتُ به عليكم وبحق صاروت وظام وعزازيل،
> أقسمتُ عليكم بصاروت وظام وعزازيل،

فرقوا قوته وجردوه من الجسد البشري.
أخرج يا سهدان وإلا احترقتَ في نار السموم،
بحق اسم الله الذي زلزل كل شيطان!"

"أقسمتُ عليكم يا معاشر الأرواح العلوية،
أقسمتُ عليكم يا معاشر الجن السفلية،
أقسمتُ عليك يا طارش أنتَ وخُدامك وخُدام حرف الألف،
وبحق ما أقسمتُ به عليكم وبحق صاروت وظام وعزازيل،
أقسمتُ عليكم بصاروت وظام وعزازيل،
فرقوا قوته وجردوه من الجسد البشري.
أخرج يا سهدان وإلا احترقتَ في نار السموم،
بحق اسم الله الذي زلزل كل شيطان!"

أخذ الصوت يكرر ويكرر حتى سقط "علي" مغشيًا عليه، فاقد الوعي.

فنظر كلٌّ من هبة والدكتور سيف بعد أن استجمع قوته ووقف مذهولاً لما رأى، فوجد أن الضابط منتصر هو من كان يردد تلك

الكلمات وأنقذ بها حياة سيف من الموت المحتوم. ولكن قال منتصر:

"اذهبوا الآن لإنقاذ الفتى ثم نتحدث. أظننتم أني مت؟ يا أحمق، أنت وكل الأغبياء هؤلاء. لا وربِّي، لن أترك ذلك حتى أقضي على تلك الشياطين المتمردة."

وبالفعل، لم ينطق أحد منهم من هول الصدمة، ووضعوا عليًّا على سريره، وأتوا بجهاز الأكسجين واعتنوا به حتى أفاق مما كان فيه. ثم خرجوا جميعًا تاركين المستشفى وذهبوا إلى غُرفة سيف في الفندق، وكان معهم منتصر وهبة أيضًا.

سيف: كيف لم تَمُت بعد؟

منتصر: لأنني لم أمت بعد، يا ذكي.

هبة: ومن تلك الجُثة التي كانت ممزقة؟ كيف لك أن تخرج حيًّا وجثتك كانت أشلاء؟

منتصر: لم أكن أنا. انتظروا، سأروي لكم ما حدث وكيف لي أن أكون حيًّا حتى الآن، وواقفًا أمامكم بجسدي ودمي.

عندما قررت أن أقرأ القصيدة التي اتضح أنها ليست قصيدة، بل قسمٌ لتحضير شيطان يُدعى "سهدان"، فكرت قليلاً: لو أن ذلك صحيح، فسأموت مِيتةً بشعة. فقلت: لماذا لا أقرأ ذلك الكتاب أولاً الذي بدأ كل هذا مع الفتى؟ فهو بداية اللعنة. جلست أقرأ التحذير بعناية، ففي أول صفحة كان هناك تحذير مكتوب بخط اليد في

جانب الصفحة. لم أقرأ إلا ذلك التحذير من الكتاب، ثم قَلَّبتّ الصفحات حتى نهاية الكتاب وعلمت الآتي:

أن ذلك الكتاب كتاب تحضير جن وشياطين، ومختص بشيطان من أحد أبناء إبليس يُدعى "ظام"، وأن "سهدان" هذا يريد تحرير "ظام" لأنه مقيد في إحدى الكهوف. ويتم تحضير "سهدان"، الخادم الخاص بالشيطان الأكبر "ظام"، ليكون من حَضَر عليه بمثابة قربان لتحرير سيده.

ثم فَتحت المذكرات وعلمت أن الفتى قد أتى بذلك الكتاب اللعين من محل للكتب في سور الأزبكية. فقررت أن أنتظر وأرى ماذا سيحدث، وقررت الذهاب لرؤية البائع في ذلك المكان الذي وصفه الفتى في مذكراته. ولكن قبل أن أذهب، كان هناك رجل على باب الحجز يُدعى مختار. قلت له بأنني سأذهب لأحضر علبة سجائر لأنها كانت آخر سيجارة معي في ذلك الوقت، وتركت المذكرات على الأرض، لكن أخذت الكتاب الآخر وأخبرته بأن يقرأ ما فيه ويقوم بتلخيصَه حتى أعود.

أعلم أن ما فعلته كان خطًأ كبيرًا، بمثابة أنني قتلت ذلك الرجل المسكين. ولكن كان يجب أن أُثبت أن ذلك حقيقي، وإن كنت أنا الميت الآن لما كنا قد وصلنا لكل تلك المعلومات، وما كنتَ أنت حيًّا يا سيف، فلم يُنقذَك غيري من يده.

ولكن دعني أكمل الآن.

بعد تركي القسم، غادرت مُتجهًا إلى سور الأزبكية متخفيًا، باحثًا عن ذلك الرجل وما يعرفه عن الكتاب. كيف حصل على مثل تلك الكتب؟ ولماذا أعطاه لفتى مثله؟ ألا يعلم أنه سيُقتَل بسبب ما يحتويه الكتاب من لعنة إن لم يكن يعرف كيفية التصرف معه؟

ولكنِّي لم أجد أي شيء من ذلك هناك. لم أجد محل الكتب، ولا شيخًا كبيرًا، ولا أي شيء من ذلك القبيل في المكان الذي وصفه في مذكراته. حتى جلست أفكر: كيف ذلك؟ أيعقل أن يكون ذلك الفتى اللعين كاذبًا حقيرًا، وقد أتى بالكتاب من أحد السَحرة ويريد تقديمنا كقرابين؟ يا لي من أحمق، إنه الوحيد الذي لم يمُت بعد.

وثم، وأنا أفكر، لم أشعر إلا بيد وُضعت على كتفي. كان رجل غريب، قال: "تعال معي، فأنا أعلم لماذا أنت هنا يا بُني." فشعرت أنه رسول من عند الله ليُرشدَني، خاصة أنه أخبرني بكل شيء، وأن الفتى المذكور في المذكرات هو علي مسعود، وأن ذلك الكتاب ملعون كتبه شيطان.

وأخبرني أنه يجب أن أُنقذكُم، وقال لي التعويذة أو التحصين الذي علَّمني إياه. قلتُها لتحصين أنفسنا وطرد "سهدان" من جسد الفتى الذي تلبس به. أسرعت إليكم حتى وجدتُك بين يديه في آخر أنفاسك، وكاد أن يقتلع عنقك. فقلتُ كما أخبرني الرجل الغريب.

لم أعلم اسمه حتى من كثرة التوهان والتفكير، فلم أستطع أن أعلم عنه شيئًا لأنه صرخ في وجهي وقال: "أسرع الآن!" فلم أشعر بنفسي

إلا وأنا مُسرِع، ولم أكن مُتحكمًا في جسدي، ولكن لم أهتم فأسرعت أكثر حتى وصَلتُ إليكم.

هذا كل ما حدث. وعَلِمتُ بما حدث للمسكين في غرفة الحجز. لم أتوقع أن يحدث له ذلك، حقًّا كنت أنانيًا، لكن كان يجب أن أتأكد. لننظر للجانب المشرق! ضحيت بحياة ذلك الرجل، وأنقذت حياتين، وعلمت الكثير من المعلومات التي ستفيدنا. والآن، ها أنا معكم.

هبة: حقًّا؟ حقًّا يا لك من حقير. قَتلتَ الرجل وأنت تعلم أنه سيموت. كنتَ تستطيع أن تتركه وشأنه وتذهب كما ذهبت دون أن تأمرَه بقراءة القصيدة. يا لعين، أنت شيطان أكثر من "سهدان" نفسه!

منتصر: لا تحكمي عليَّ يا دكتورة. فلولا أنني جِئتُ سريعًا، لهلكتِ أنتِ وذلك الدكتور بجانبك.

سيف: إهدَأوا الآن، فما حَدَثَ قد حَدَثَ، والموت طالَ الكثيرَ من الناسِ الأبرياءِ. ولكن الآنَ لنذهبَ ونعثرَ على عمِّ مسعودٍ، والدِ الفتى عليٍّ، لأنه لم يَأْتِ للعملِ، ويجبُ أن نعلمَ منه ما يعرفه عن كلِّ ذلكَ، فلا بدَّ أنه يعلمُ الكثيرَ، وإلا كيفَ له أن يكونَ بهذا الثباتِ وهو في المستشفى التي بها ابنُه؟ وأتى لي بالكتابِ والمذكراتِ، ويعلمُ المقابرَ التي يكونُ بها عليٌّ عندما يأخذه سهدانُ إليها، وكيفَ يحميه من سهدانِ في تلكَ المقابر؟ لا بدَّ أنه يعلمَ الكثيرَ، وإلا كيفَ له التصدي لسهدانٍ وحده في المقابرِ ليحميَ ابنَهُ كما قالَ عليٌّ؟ كلُّ تلكَ

أسئلةٍ يجبُ أن يجيبَ عليها أحدٌ، ولن يجيبَ أحدٌ سوى مسعود نفسه.

منتصر: أشعرُ بأن خَلفه سرًّا غامضًا هو الآخرُ.

هبة: لكننا لم نعلمْ أيَّ مقابرٍ يكونُ بها، فلم نستطعْ أن نكملَ الحديثَ معه لأن الشيطانَ قد حضرَ وقتَها.

منتصر: لا يلزمُ ذلكَ، فنحنُ نريدُ مسعود وليس المقابرَ. ومن مسعودٍ سنعلمُ مكانَ المقابرِ وكلَّ ذلكَ.

سيف: إذًا ماذا ننتظر؟ يجبُ أن نذهبَ له الآنَ حتى نرى ماذا يعلمُ ونسرعُ بإيقافِ ذلك الشيطانِ، وإلا سيتحررُ "ظامٌ" من قيده.

ولكن فجأةً يدخلُ عليهم رجلٌ يرتدي عباءةً بيضاءَ مغطاةَ الرأسِ، وقالَ لهم:

"لا تتحركوا، يجبُ أن تنتظروا قليلا، ثم تعالوا خَلفي، ولا تسألوا كثيرًا حتى نصلَ لوجهتنا."

وأخذ يتمتمُ بعضَ الكلماتِ وقالَ لهم وهو مطأطئُ الرأسِ:

"هيا الآنَ بنا."

منتصر: هذا الصوتُ ليس غريبًا عليَّ، من أنت يا هذا؟

سيف: وأنا أيضًا سمعتُ ذلك الصوتَ، ولكن من أنت حتى نذهبَ معك؟

الرجل: تعالوا معي الآنَ، لا وقتَ للكلامِ، هيا حتى تعلموا من أنا قبلَ أن يأتي سهدانُ إلينا ويعلمَ المكانَ الذي نحن فيه.

منتصر: انتظر، هذا صوتُ الرجل الذي قابلتُه عند سور الأزبكية. أنا تذكرتُ صوتك.

الرجل: هيا الآنَ يا منتصر، هيا الآنَ، لا وقتَ للحديثِ.

وانصرفوا خلفه، وساروا ما يقارب النصف ساعةٍ على أقدامهم. لم يرغب ذلك الرجلُ في استقلالِ السيارةِ أو أي وسيلةِ نقلٍ، وقالَ: "يجبُ أن نذهبَ على الأقدامِ، ولا تكثروا الحديثَ."

حتى وصلوا لمنطقةٍ في إحدى العشوائياتِ في الأحياءِ المصريةِ القديمةِ، ووقفَ الرجلُ أمام منزلٍ قديمٍ بسيطٍ مبنيٍّ من الطوبِ اللبنِ، يكادُ أن ينقضَّ فوق رؤوسِ من يقطنونَ به، ولكن دخلَ الرجلُ وقالَ:

"اتبعوني، لا يوجدُ أحدٌ غيري هنا."

وعندما دخلوا جميعًا، إذ بالرجلِ يرفعُ رأسه ويُمسكُ به منتصرُ، ويقولُ:

"من أنت يا هذا؟ أنتَ ذلك الرجل! يجبُ أن تخبرني الآنَ، وإلا قتلتك!" ولكن أمسكَ به سيف وهبة، وقالوا:

"انتظر، انتظر! إنه عمُّ مسعود، والدُ عليّ."

في وسطِ نظراتِ ذهولٍ من الجميعِ وتعجبٍ.

***

ظام: يا سهدان، لما لم تأتِ اليومَ لي بقربانٍ؟ قالها غاضبًا وهو يصرخُ على سهدان.

سهدان: قد سلبني قوتي بشريًا يا سيدي، فلم أستطعْ أن آتيَ لك بأحدٍ منهم. فقد قالَ قسمُ الأمجادِ...

ظام: ولِمَ لَمْ تَتَخَطَّ القَسَم؟ أَلَسْتَ تحتَ قيادتي وحمايتي أنا، يا لعين؟

سَهْدان: يا سَيِّدي، أنتَ لا زِلْتَ مُقَيَّدًا ولم تَتَحرَّر بَعْد، ولو لم أنصرف لقَتَلوني الملوكُ العُلويَّة.

ظام: يجب أن أتحرَّرَ الآن، هذه آخِرُ فرصةٍ، وإلَّا لَظَلِلْتُ مائةَ عامٍ أُخرى حتى يأتيَ القمرُ الدمويُّ مرةً أُخرى.

سَهْدان: يا سَيِّدي ظام، إنِّي خادِمُكَ المُخْلِص، كان واجبًا عَلَيَّ أن أُحَرِّرَكَ، حقًّا عَلَيَّ يا سَيِّدي، فأنا أعملُ بكلِّ جهدي حتى أُنَفِّذَ العهد، ولكن ذلك البَشَرِيَّ اللعين قد خالفَ العهد.

ظام: عليكَ بقتله، وأن تأتيني برأسه لأُشْفِيَ غليلي منه ومن أبيه.

سَهْدان: إنَّ مَسْعودَ قد تعلَّم الكثيرَ، سَيِّدي، ويُحيطُ نفسه بالكثير من الخُدَّامِ، هو وأُسْرته، لا أستطيع الاقترابَ أكثرَ منهم.

شاطَ ظامُ غَضَبًا، وبَرَزَتْ أنيابُه، واشتعلتْ عيناه نارًا، وأمسكَ برَقبةِ سَهْدان، واشتعلتِ النيرانُ من حولهم في الكهف، وكاد أن يَقتلعَ رأسَه.

وقال ظام: سأقتلعُ تلك الرأسَ الملعونةَ وأُلْقِي بها في نيراني. كيفَ لك أن تقولَ ذلك؟ أضَعِيفٌ أنتَ؟

يجب أن يُقتَلَ مَسْعودُ أولًا، وأتركَ الفتى الآن؛ لأنَّه ليس له حَوْلٌ ولا قُوَّة. إذا قتلتَ مَسْعودَ، سَهُلَ الباقي.

سَهْدان (وهو يَرْفُصُ بقدميه في الهواء، وهو يموت مختنقًا في يدِ ظام وهو ممسك برقبته): حسَنًا يا سَيِّدي، سأفعلُ ذلك الآن، ولكن اتركني، سأموتُ بيدِكَ.

ظام: اذهب الآن، ولا تَعُدْ إلَّا برأسِ مَسْعود، أو رأسُكَ ستكونُ مكانَ رأسِهِ بيدي.

وألقى ظامُ بسَهْدان في الأرض.

كان سَهْدانُ مثلَ الطفلِ الباكي في يدِ ظام، رغمَ قوَّتِه وشِدَّةِ بأسه، فكيف ستكونُ قوَّةُ ظام؟

وانصرفَ سَهْدانُ من أمامِ ظام، وفي عينيه غَضَبٌ وشَرٌّ لم يظهرْ على وجهِهِ القبيحِ من قبل.

مسعود: اجلسوا الآن في هدوءٍ حتى نتحدَّث، يجب تُساعدوني، ولا تقلقوا؛ هذا المكان لا يأتي إليه سواي، وهو محميٌّ ومحصَّن ضدَّ الشياطين السُّفليَّة مثل ظام وسَهْدان. فهو بالتأكيد يبحث عني الآن أكثر من الأول، فلن يصلوا إلينا هنا.

مُنْتَصِر: أهذا بيتك يا مسعود؟

مسعود: لا يا مُنتَصِر، ما هو إلَّا بيتٌ قديمٌ اشتريتُه مؤخرًا بعدما علمتُ بما حدث، ولأستطيع أن أتخفَّى عن أنظار الجميع، فلا أحد يعلم بوجودي في هذا المكان.

سَيْف: ماذا تقول؟ وكيف لك أن تعلم هذا؟ وكيف حصَّنتَ المكان ضدهم يا عَمَّ مسعود؟

هبة: من أنتَ حقًّا؟ هل أنتَ عَمُّ مسعود الرجل الطيِّب الذي يجلس على باب المستشفى؟ أم أنتَ شخصٌ آخر؟ أم أن اسمكَ ليس مسعودًا حتى من الأساس؟

مسعود: لا، أنا هو. لستُ شخصًا آخر. ولكن اهدأوا الآن حتى أخبركم بكلِّ شيء.

مُنْتَصِر: أخبرنا يا هذا، وإلَّا قتلتُكَ أنا وليستِ الشياطين. فيبدو أنك تخفي الكثيرَ أنتَ وابنك.

مسعود: سأروي لكم من البداية.

ظام هذا إنه شيطانٌ ذو قوةٍ غاشمةٍ كبيرة. كان أحدَ جنودِ سيِّدنا سليمان عليه السلام، ولكنه تمرد، وكان من المتمردين، فسجنه سيِّدنا سليمان في زُجاجةٍ أُلْقِيَت في بحيرةٍ بعيدةٍ بالقرب من مدينة النحاس التي لا يعلم عنها أحدٌ شيئًا، كعقابٍ له وسجنٍ أبدي.

ولكن كان يوجد ساحرٌ لعين يعمل مع زئير، فحرَّر سيِّده ليكون الساحر خادمًا لظام، ويمنحه الكثير من القوة والنفوذ. ولأن البحيرة

لا يستطيع الوصول إليها أحدٌ من الجان، استعان زئير بالساحر لتحرير ظام.

قاموا بتحريره بالفعل، ولكن ظام قتل زوجة الساحر وأخذ رأسها. فقام الساحر بسلب قوة سهدان حتى لا يقتله، وقَيَّد ظامًا في أحد الكهوف كي لا يصل إليه أحدٌ مرةً أخرى.

ولكن سهدان قتل الساحر، ولم يستطع تحرير ظام مرةً أخرى. فكان عليه أن يجعل أحدَ البشر يقدم ثمانيةَ عشرَ قربانًا له، ليقوم بالطقوس اللازمة لتحرير ظام. وذلك العدد، لأنه عند تبسيط الرقم وفق الأوفاق المخصصة للسحر، يكون عبارة عن ثلاثة ستات (666)، وهو رمز الشيطان المكوّن من رقم ستة ثلاث مرات. لو جمعت الأرقام، يصبح المجموع ثمانية عشر، ولذلك كان عدد القرابين هذا العدد.

وأما أنا، فكيف لي أن أعلم ذلك؟ استمعوا جيدًا إذًا:

قد كنت شابًا قويًا لا يخاف من شيء. كان جدي ساحرًا، وكنت أجلس معه كثيرًا حتى أتعلم منه تلك الأشياء. فقد أخذني الفضول والشغف لتعلم السحر، حتى أَستحضِر الشياطين ليأتوني بالمال. لكنني كنت غبيًا، لم أعلم أن لكل شيء ثَمَنًا. وكان ثمن ذلك باهظًا جدًا.

وجدت ذلك الكتاب في مكتبة جَدي المليئة بكتب التحضير والشياطين وغيرها من علوم السحر والشعوذة، وقررت أن أَستحضِر

"زئير" حتى يأتي لي بالمال. تجاهلت التحذير الذي علمت أن الساحر قد كتبه بنفسه ليمنع أن يكمل قراءة الكتاب أحد آخر، ولكن من يكترث؟!

قمت بفعل اللازم، وفعلت كما هو مطلوب بالطقوس الشيطانية. حينها ذهبت للمقابر، ورسمت نجمة خماسية، ووضعت على كل ذراع من أذرع النجمة شمعة. جِئت بقط أسود وقطعت رأسه، وكذلك بوطواط مزقته وأكلت منه. تَلوت العهد والقسم لاستحضاره داخل المقبرة وقلت:

***

باسم الجلل والجليل، احضر ولا تبخل يا زئير
كونك موجود يطمئن قلبي وفي حضورك بخير
أقسمت عليك بسيدك ظام كما سميته قط الأخير
الذي له ألف وجه، وكل وجه فيه ألف عين من الأساطير
وألف فم فيه ألف لسان، لكل نوع كان خيرًا أو شريرً
تعال واجلب معك الغنى والسرور والخير
قسمك كان به الخير والشر، وأنا لا أريد سوى الخير
وأقبلني قربانًا لظام، سيدي وسيد التدابير
حتى أكون عونًا وأمحو أخطائي وأفوز بالتكفير

أردت هذا بإرادتي حتى أسمو ولا أكون من الأحاقير
يا زئير، احضر ولا تكن عاصيًا ولا حقيرًا
كن خادمًا وفيًا للشيطان، وإلا سُلسِلت بالجنازير
احضر، احضر يا زئير، ونفذ القسم بالحذافير
لبِّ ندائي، العجل، الوحا، الساعة، لخادمك الأجير

***

استمررت في الطقوس بعدد معين حتى يتشكّل أمامي وأطلب منه ما أريد، ولكن لم أتوقع أن يطلب مني أن أجلب له قربانًا بشريًا حتى يفعل لي ما أريده. قلت له موافق، لكنني لم أكن أنوي فعل ذلك. كنت أنوي أن أخدعه بعد أن يأتي لي بالمال. لكنه علم أنني سأخدعه، فقال لي:

"أتريد خداعي يا ابن آدم؟ حسنًا، لن أطلب منك أن تأتي لي بقربان. شَرطي الآن أن تعثر لي على مكان سيدي ظام."

فأخبرته أنني لا أعلم مكانه. قال:

"هذا شرطي الآن، وإلا قَتلتُكَ جَّراء الاستهزاء بنا. استحضرتني وأنت لا تريد فعل شيء، يا أحمق."

وافقت على طلبه وذهبت مسرعًا أبحث في كتب جدي عن اسم ظام وأين مكانه. علمت أن هناك ساحرًا قد قيده في أحد الكهوف

في مصر، ففكرت أن أستحضر قرين الساحر أمام "سهدان"، وهو يعلم منه مكان ظام، وأحصل أنا على المال وأذهب.

تعلمت الطريقة، وهي طريقة "النيكرومانسر"، حيث أبحث عن قبر الساحر وآكل جزءًا من جسده. ولكن كيف ذلك؟ لا بد أنه قد تحلل. بحثت حتى علمت أنه إذا وجدت قبره سأجد قرينه القابع فوق القبر.

وبالفعل، ذهبت لقبرِه في بلاد اليمن، واستحضرت زئير أولاً، ومن ثم قرين الساحر، حتى يُمسك زئير به ونعلم أين قَيّد الساحر ظام.

ولكن زئير قتل القرين بعد أن علم مكان ظام الموجود في كهف من كهوف سنور في مصر.

فقلت له: "الآن يجب أن تأتي لي بالمال كما هو الاتفاق." ولكنه اللعين قال: "خذني أولاً إلى هناك، ومن ثم نقرر ماذا نفعل."

شعرت بخداعه لي، فتعلمت كيف أسلب قوة سهدان إن قام بالغدر. وذهبنا إلى الكهوف لنجد أبشع المناظر. كان الكهف جميلاً حتى قام سهدان بنداء سيده ظام. فجأة، اشتعل الكهف من حولي، وظهر ظام بشكله المرعب والبشع وهو مقيد على كُرسِيه في ذلك الكهف.

ذَهب سهدان لتحرير ظام وكَسر القيود، ولكنه لم يستطع، إذ كانت القيود مطلسمة بطلاسم قوية لا يمكن فكها بسهولة. قال ظام إنه عَطش، فرأيت الشر في أعينهم. فقمت بسلب قوة سهدان بعد

أن قلت الطلسم والتعويذة التي حَصَنتني منه، وهربت من الكهف مسرعًا.

لكن ما غفلت عنه هو أن الكتاب قد سقط في ذلك الكهف، ولم أكترث لذلك. أسرعت بالخروج قبل أن يمسكوا بي مرة أخرى، وتركت كل ذلك وراء ظهري. تُبتُ إلى الله تَوبةً نصوحًا، وتركت السحر وكل تلك الأمور. عملت في المستشفى، وتزوجت، وأنجبت علي.

ولكن حدث ما لم أتوقعه. بعد موت عمر، صديق علي، تغيّر حال ابني كثيرًا. بدأت تأتيه حالات صرع متكررة. قد يقول من هم مِثلَكُم، يا أطباء، إنها حالات مرضية، ولكن من هم مثلي يعلمون إن كان هذا صَرعًا مرضيًا أم تلبُسًا من الجن. كنت أعلم أن هذه ليست حالات صرع عادية، بل وراءها مَس من الجان، بُناءً على خبرتي القديمة مع جدي وما رأيته معه ومع المرضى الذين كان يعالجهم.

قَلقت أكثر عندما بدأ علي يروي عن شبح يطارده ويريد قتله. دخلت غرفته وهو نائم ذات ليلة، لأجد ذلك الكتاب اللعين قد عاد إلى حياتي مرة أخرى، ولكن عن طريق ابني علي هذه المرة.

فهمت ما حدث دون أن يتكلم علي. أخذت بيده وأجلسته أمامي وقلت له أن يخبرني بما حدث وما قصة ذلك الكتاب الغريب في حجرته. فزع عندما ذكرت الكتاب أمامه، فأخبرته أنني أعلم كل شيء، لكن عليه أن يخبرني بما حدث معه حتى أساعده. روى لي كل شيء منذ دخوله محل الكتب وحتى تلك اللحظة التي كنا فيها.

ذهبت للمكان الذي أخبرني عنه، لكنني لم أجد شيئًا، مثلما حدث معك يا منتصر عندما ذَهبتَ ولم تجد شيئًا.

لكنني أختلف عنك قليلاً. قُمت بتحضير طارش، ملك وزعيم قبيلة بَني غيلان وملك عمار المكان. أخذت معه العهد والقسم، وفعلت المطلوب حتى يخبرني بما حدث. جلب لي أحد خدامه وأعوانه، وحَكى أنه شَاهدَ زئير يتجسد في ذلك المكان ومعه الكتاب. وعند وصول علي، تجسد زئير على شكل شيخ كبير صاحب أحد أكشاك الكتب القديمة. أكرمه في الكُتب التي أخذها، ووضع الكتاب أمام علي حتى يراه فيأخذه.

وإن لم يأخذه، كان سيقوم بوضعه وسط الكتب التي لدى علي قبل أن يصل إلى المنزل، لأنه لا يستطيع الدخول لوجود تحصين قوي. لكن وجب علَى أحدهم فتح فجوة وبوابة ليدخل منها إلى البيت.

الغريب ليس ما قاله الجن في ذلك كله، بل ما جعلني أزداد تعجبًا هو أن زئير استطاع الدخول بالفعل، لكنه لم يقتلني. ولم أعلم حتى الآن لماذا دخل لإغواء علي فقط ولم ينتقم مني.

ربما يريد أن يجعلني أحزن على ابني وأنا على قيد الحياة، ثم يقتلني. هذا هو الأقرب. أو ربما يريد أن يجعلني أتواصل معه مرة أخرى ليترك ابني مقابل أن أساعده في تحرير ظام من قيده. فأنا من لديه القدرة والعلم الكافي لذلك، وليس علي.

ولكن، أهذا الغبي لا يعلم أنني سأقتله وأحرقه فقط لأنه اقترب من ابني؟ مجرد إزعاج منامه يجعلني أستشيط غَضبًا لأحرقه.

هذا كل شيء يا سيف، يا بُني. أنت وهبة والضابط منتصر.

سيف: وَلَكِنْ لماذا أَنَا يَا عَمِّ مَسْعُود؟ لِمَاذَا أَنَا الَّذِي أتيتَ لَهُ بِذَلِكَ الْكِتَابِ الْمَلْعُونِ؟ لِمَ؟ أَكُنْتَ تُرِيدُ قَتْلِي؟

مسعود: يَا لَكَ مِنْ غَبِيٍّ! لَا، بِالطَّبْعِ لَا أُرِيدُ ذلك. وَلَكِنْ كُنْتُ أَنْتَقِي مِنْكُمْ مَنْ هو مناسب لِفِعْلِ ذَلِك. وَإِنْ شَعَرْتُ بِخَطَرٍ عَلَى حَيَاةِ أَحَدِكُمْ، كُنْتُ لِأُنْقِذَهُ، كَمَا فَعَلْتُ مَعَكَ يَا أَحْمَقُ، عِنْدَمَا حَضَرَ زَئِيرُ لَكَ أَنْتَ وَالدُّكْتُورُ وَلِيدٌ، اللهُ يَرْحَمُهُ. وَلَكِنْ كَانَ يَجِبُ أَنْ أُنْقِذَكَ أَنْتَ أَوَّلًا، وَقُمْتُ بِتَحْصِينِكَ مِنْهُ. وَلَكِنِّي لَمْ أَسْتَطِعْ إِنْقَاذَ الدُّكْتُورِ وليد، لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَتَوَقَّعُ أَنْ يَكُونَ مَوْجُودًا عِنْدَمَا تَقْرَأُ الْقَسَمَ وَالْعَهْدَ الْمَكتُوبَينِ عَلَى شَكْلِ قَصِيدَةٍ شِعْرِيَّةٍ.

هبة: كَيْفَ قُمْتَ بِانْتِقَائِنَا؟ لَا أَفْهَمُ ذَلِكَ. وَمَنْ هُمُ الَّذِينَ اخْتَرتَهُم لذلك؟

مسعود: أنتم الثلاثة الَّذِينَ وَقَعَ عليهم الِاخْتِيَارُ، لِأَنَّ كُلًّا مِنْكُمْ لَدَيْهِ شَيْءٌ يجعله أَقْوَى مِنْ غَيْرِه. فَأَنْتِ يَا هِبَةُ، قُوَّتُكِ تَكْمُنُ فِي الْحُبِّ وَتَعَلُّقِكِ بِالْحَيَاةِ مِنْ أَجْلِ سَيْفٍ.

(فَأَحْمَرَّ وَجْهُ هِبَةَ مِمَّا قَالَ، وَشَعَرَتْ بِالْخَجَلِ لِأَنَّهُ أَفْصَحَ عَمَّا بِدَاخِلِهَا مِنْ أَجْلِ سَيف، فَوَقَفَتْ بَعِيدًا لِشُعُورِهَا بِالْخَجَلِ، وَلَكِنَّ سَيف زُهِلَ ، واما منتصر اخذ يضحك كثيرًا لِمَ سَمع من كلام).

منتصر: وَلِمَاذَا قَدِ اخْتَرْتَنِي أَنَا أَيْضًا؟ أَلِأَنَّنِي أُحِبُّ سَيْف أَيْضًا؟ (يَضْحَكُ هَازِئًا) هههههههه.

مسعود: لَا، بِالتَّأْكِيدِ. فَأَنْتَ مُتَغَطْرِسٌ، مُتَكَبِّرٌ، لَا تُؤْمِنُ إِلَّا بِمَا تَرَى. وذلك التَّكَبُّرُ الَّذِي أَخْرَجَ إِبْلِيسَ مِنَ الْجَنَّةِ يجعلك مُمَيَّزًا. فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ، سَتَكُونُ أَنْتَ بِمَثَابَةِ الطُّعْمِ لهم، لِعَجْرَفَتِكَ اِلَّا مَتَنَاهِيَةِ.

منتصر: إِذًا، أَنَا الطُّعْمُ؟ هههههههه.

سيف: انتظروا فَقَطْ لِلَحَظَاتٍ. كَيْفَ لَنَا نَحْنُ الثَّلَاثَةُ أَنْ نَقْتُلَ سَهْدَانَ ذَلِكَ وَظَام؟

مسعود: لِذَلِكَ وَقَعَ عَلَيْكَ الِاخْتِيَارُ، يَا دُكْتُورَ سَيْف. أَنْتَ جَادٌّ فِي عَمَلِكَ، تُرِيدُ إِنْجَازَ تِلْكَ الْمَهَمَّةِ. وَلَكِنْ دَعْنِي أَقُولُ لَكَ أَوَّلًا أَنَّكُمْ لَسْتُمْ ثَلَاثَةً، بَلْ خَمْسَةٌ. فَأَنَا مَعَكُمْ، وعلي ابْنِي. لَا تَقْلَقُوا، لَنْ أَتْرُككُمْ. وَإِنْ حَدَثَ شَيْءٌ -لَا قَدَّرَ اللهُ- سَيَكُونُ لَنَا جَمِيعًا.

وَأَمَّا سَهْدَانُ، فَسَنَقْتُلُهُ بَعْدَ أَنْ يتمَّ تَحْضِيرُهُ مِنْ قِبَلِ الْمُتَعَجْرِفِ. وَأَنَا يُمْكِنُنِي سَلْبُ قُوَّتِهِ. وَعِنْدَمَا يَتَجَسَّدُ، يُصْبِحُ ضَعِيفًا، يَقَعُ عَلَيْهِ مَا يَقَعُ عَلَيْنَا مِنْ قَوَانِينِ عَالَمِنَا. أَيْ أَنَّهُ إِذَا قَتَلْتَهُ بِسِكِّينٍ، سَيَمُوتُ.

وَأَمَّا ظَامُ، فَسَنَذْهَبُ لِنُعِيدَ تَقْيِيدَهُ مَرَّةً أُخْرَى قَبْلَ أَنْ يَتِمَّ الثَّمَانِيَةَ عَشَرَ قُرْبَانًا فِي لَيْلَةِ الْقَمَرِ الدَّمَوِيِّ. لِأَنَّنَا لَنْ نَسْتَطِيعَ قَتْلَ ظَامٍ، إِنَّهُ قَوِيٌّ جِدًّا. وَسَنَجْعَلُ مِنَّا مَحَطَّ الْأَنْظَارِ لِشَيَاطِينِ الْعَالَمِ السُّفْلِيِّ، وَنَكُونَ قَدْ فَتَحْنَا عَلَيْنَا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ السَّبْعَةِ.

***

كانَ على الجانبِ الآخَرِ سَهدانُ يقومُ بالبحثِ عن مَسعودٍ، ولكنَّهُ لا يستطيعُ العثورَ عليهِ، فذهَبَ سَهدانُ إلى أحدِ المَرَدةِ من عشيرةِ البَهَاطِلِ التسع، كانَ هذا الماردُ من أقوياءِ عشيرتِهِ وقائدَ الجيشِ، ولكنْ كانَ يُعرَفُ عنهُ القوَّةُ والشجاعةُ، وأنَّهُ لا يَهابُ أحدًا، ويَحترمُ الصفقاتِ والعُهودَ، ولكنَّهُ يَبطِشُ بمَن يُخالِفُ عهدَهُ معهُ، حتى من الجِنِّ والمَرَدةِ مِثلَهُ، وكلُّ ما يَهُمُّهُ هو أن يَحصُلَ على القوَّةِ والسيطرةِ على عَرشِ العشيرةِ.

كانَ يُدعَى "رَهْسان"،

فدخلَ عليهِ القصرَ سَهدانُ، كانَ قصرُهُ ضَخمًا، مصنوعًا من الذهبِ وعِظامِ الأعداءِ الذينَ فتكَ بهمْ رَهْسانُ، كانَ يُزيِّنُ جُدرانَهُ بالجماجِم، فقَلَّبَ نظرَهُ يمينًا ويسارًا ليجدَ أنَّ القصرَ فارغٌ، ليسَ بهِ أحدٌ، فظنَّ أنَّ رَهْسانَ ليسَ موجودًا حتى وجَدَ من خلفَهُ مَن يُمسِكُ بهِ كالفتاةِ الصغيرةِ ويقولُ له: مَن أنتَ يا هذا؟ ولِمَ جئتَ إلى قصرِ سيِّدي رَهْسان؟ فقالَ: أنا زَئير خادِمُ ظامِ المُتَمَرِّد، أريدُ مقابلةَ القائدِ رَهْسان، فترَكَهُ أرضًا للحارسُ، ليَنظرَ زَئيرُ للحارسِ ويجِدَ شيطانًا ضخمًا ذو قوَّةٍ مَهولةٍ، طولُهُ يفوقُ زَئيرَ بثلاثةِ أضعافٍ، وضخمَ الجثةِ كأنَّهُ جبلٌ يَقفُ أمامَهُ، يَملِكُ سيفًا بطولِ زَئيرِ نفسهِ، إذا سَحبهُ مِن مكانِهِ لَقَتَلَهُ بضربةٍ واحدةٍ، له قَرْنٌ واحدٌ في رأسِهِ يَتوسطُ الجمجمةَ الضخمةَ مثلَ وحيدِ القَرْنِ، وجِلدُهُ مثلُ جلدِ الفِيلَةِ، جِلدٌ غليظٌ سَميكٌ، يرتدي دِرعًا، وعلى رأسِهِ خُوذةٌ تُغطِّي وجهَهُ، لا يَبرزُ منهُ سوى عَينَيهِ المُشتعلتَينِ مثلَ الجمرِ.

كانتْ تلكَ هي قوَّةُ الحارسِ، فكيفَ تكونُ قوَّةُ سيِّدِهِ رَهْسان، قائدِ جيشِ عشيرةِ البَهَاطِلِ التسع؟.

شَعَرَ زَئيرُ بأنَّهُ سيُقتَلُ قبلَ أنْ يُقابِلَ رَهْسان، وشَعَرَ بخوفٍ عارمٍ، ولكنَّهُ تَمالَكَ نَفسَهُ أمامَ الحارسِ، ثمَّ أخَذَ الحارسُ يَجرُّ سَهدانَ على الأرضِ حتى دخلَ بهِ إلى غُرفةِ العرشِ، وألقاهُ الحارسُ أمامَ رَهْسانَ، الذي كانَ قصيرًا جدًا، أقصَرَ من سَهدان، أسودَ اللونِ، يداهُ مَخالبُ، وقدماهُ حوافِرُ، ولهُ جَناحانِ حادَّانِ مثلَ السيفِ، وفمُهُ ممتلِئٌ بالأسنانِ الحادَّةِ المُدبَّبةِ، عَيناهُ كانتا سوادًا حالِكاً يَتوسَّطُ كلاًّ منهما نُقطةٌ حمراءُ تَزدادُ بازديادِ غَضَبِهِ.

شَعَرَ سَهدانُ بخوفٍ أقلَّ، قدِ استهزَأَ برَهْسانَ بعدَ رُؤيتِهِ لهُ، كيفَ لمثلِ ذلكَ القَزَمِ الصغيرِ أنْ يكونَ قويّاً ليَقودَ جيشًا من أقوى جيوشِ الجِنِّ في عشيرةِ البَهَاطِلِ التسع؟ وأنَّ ذلكَ الحارسَ الضخمَ هو الخادِمُ لهُ؟ ولكنَّ رَهْسانَ تَحرَّكَ لِيُمسِكَ بسَهدانَ، الذي شَعَرَ الآنَ بقوَّتِهِ عندما أمسكَهُ بإصبعَينِ فقط، وكادَ أنْ يُمزِّقَهُ لولا أنَّهُ تركَهُ وقالَ لهُ:

"ماذا جاءَ بكَ إلى هنا يا خادِمَ ظام؟" فقالَ سَهدان: "جئتُ لأعقدَ معكَ صفقةً يا سيِّدي". فقالَ رَهْسان: "أيُّ صفقةٍ تلكَ يا أحمقُ؟" أجابَ سَهدان: "اجعلْ حارسَكَ يَخرجُ أولاً". فردَّ رَهْسان: "أتَظنُّ أنَّ حارسي هو مَن سيَحميني منك؟ يا مَسكينُ، سأَقتُلُكَ قبلَ أنْ يَرجِفَ جَفنُكَ حتى". فقالَ سَهدان: "أعلمُ ذلكَ يا سيِّدي، ولكنْ حتى أُعلِمَكَ بالصفقةِ".

فقالَ رَهْسان: "حَسنًا، لكَ ذلك. أَخرُجْ يا زاميك". فأجابَ زاميك: "أمركَ سيِّدي". خرجَ زاميكُ كما طلبَ رَهْسانُ، فقالَ لهُ: "قد خرجَ زاميك، فتَحدَّثِ الآنَ عمَّا جئتَ لأجلِه".

سهدان: أَلَا تُريدُ القوَّةَ والسُّلطةَ؟

رَهْسان: وما الَّذي تَملِكُهُ أنتَ مِن ذلكَ حتَّى تُقدِّمَهُ لي؟

سهدان: لستُ أنا مَن سيُقدِّمُ لكَ ذلك، بل سيِّدي ظام.

رَهْسان: وتَظُنُّ أنِّي أحتاجُ لما تقول؟ فأنا قائدُ الجيشِ، لو أردتُ أن أسيطرَ على جميعِ العشائرِ لفعلتُ. لي عهودٌ مع الكثيرِ من المَرَدةِ والشياطينِ، وجبَ عليهم ردُّ الدينِ لي عندما أُريد.

سهدان: ولكنْ غَفِلَ عنكَ أنَّكَ ستكونُ أمامَ مجلسِ الملوكِ أنت المُلامَ على ذلك، ولن يطولَ حُكمُكَ على عشيرةٍ واحدةٍ حتَّى.

رَهْسان: ماذا تَقصِدُ؟

سهدان: أَقصِدُ أنَّهُ إذا عقَدتَ معي الاتِّفاقَ، سيكونُ سيِّدي هو مَن يقتلُ لكَ مَن تُريد، وأنَّهُ سيجعلكَ الحاكمَ على عشيرةِ البَهَاطِلِ التسع بعدَ أنْ يَشُنَّ حربًا عليكم، ولكنَّكُم ستُهزَمونَ بأمرٍ منك دونَ أنْ يعلمَ أحدٌ، وبذلك تكونُ أنتَ الحاكمَ بعدَ مَقتلِ الملكِ على يدِ سيِّدي ظام.

رَهْسان: يالكَ مِن وَقِح! كيفَ لكَ أنْ تجرؤَ وتقولَ مثلَ ذلكَ الحديثِ أمامي؟ لَقطعتُ رأسَكَ الآن، ولكنْ ستكونُ مِن الضُّعفاءِ أمامي، ولا أُريدُ أن يُذكَرَ لي ذلك.

يا زاميك! تعالَ.

سهدان: انتظِرْ، انتظِرْ يا سيِّدي، أرجوكَ! ماذا تُريدُ حتَّى أنْ تعقدَ الصفقةَ معي؟

زاميك: أَمْرُكَ يا سيِّدي.

رَهْسان: انتظِرْ خارجَ البابِ، وإنْ قُلتُ اسمَكَ مرةً أخرى، فلتدخلْ وتقطعْ رأسَ هذا اللعين.

زاميك: أَمْرُكَ.

سهدان: أُريدُ أنْ أُحرِّرَ سيِّدي ظام، ولكَ ما تُريد، أَطلُبُ منكَ المساعدةَ.

رَهْسان: ولكنَّ الجميعَ يعلمُ أنَّ ظام مُقيَّدٌ بِطِلسمٍ مُحرَّمٍ، يَحرِقُ كلَّ مَن يُحاولُ الاقترابَ لفكِّ القيودِ، لا يستطيعُ أحدٌ أنْ يَفُكَّ قيدَهُ سوى أحدٍ من البشرِ.

سهدان: وجدتُ طلسمًا مضادًّا وطُقوسًا لفكِّ القيدِ، ولكنْ هناكَ بَشريٌّ يمنعني من ذلك.

رَهْسان: أَتستهزِئُ بي الآن؟

سهدان: لا يا سيِّدي، وإنَّما ذلكَ البَشريُّ كلَّما فعلتُ الطقوسَ يأتي ويَسلبني قوَّتي والآنَ يُدبِّرُ لقتلي، ولكنِّي لا أستطيعُ العُثورَ عليهِ؛ لأنَّهُ قامَ بتحصينِ نفسِهِ وإخفاءِ نفسِهِ عن أنظارِ الجِنِّ.

ولكنْ أنتَ أقويٌّ من ذلك، أنا أعلَمُ مكانَ بيتِهِ، وأُريدُ مساعدتَكَ في أنْ تَتجاوَزَ الحِصنَ الخاصَّ بهِ وتَقتُلَهُ فقط، وأنا سأفعلُ اللازمَ لتحريرِ سيِّدي ظام في ليلةِ القمرِ الدمويِّ، وسأذكُرُ مساعدتَكَ لي ولهُ ومطلبكَ من الصفقةِ. فماذا تأمُرُ؟

رَهْسان: أهذا كلُّ ما تُريدُ منِّي؟

سهدان: أَجَلْ، هذا فقط.

رَهْسان: حَسنًا، ما أريدهُ هو إكسيرُ الحياةِ الخاصُّ بسيِّدكَ ظام، الزئبقُ الأحمرُ الَّذي لديه أُريدُ قارورةً من إحدى قواريرِهِ، فهو يملِكُ الكثيرَ من الزئبقِ الأحمرِ.

سهدان: ولكنَّ هذا شيءٌ صعبٌ جدًا أنْ أقولَهُ لسيِّدي. لنْ يُوافِقَ على ذلكَ، فأنتَ تعلمُ قيمةَ الزئبقِ الأحمرِ.

رَهْسان: هذا طَلَبي من الصفقةِ. اذهبِ الآنَ وأخبرْ سيِّدَكَ: أيُريدُ أنْ يتحرَّرَ أم لا في مُقابِلَ قارورةٍ من قواريرِهِ؟ انصَرِفِ الآنَ ولا تُزعِجني مرةً أخرى.

سهدان: سأفعلُ ما يَلزمُ لآتيَ لكَ بإحدى تلكَ القواريرِ يا سيِّدي رَهْسان.

وانصَرَفَ سَهدانُ مِن أمامِ رَهْسانَ حتَّى يذهبَ ويُخبِرَ سيِّدَهُ بآخرِ المُستجَدَّاتِ.

سيف: كَيْفَ سَيَأْتِي مَعَنَا عَلِيٌّ وَهُوَ فِي المُسْتَشْفَى؟

مَسْعُود: تِلْكَ هِيَ المُهِمَّةُ الأُولَى تَهْرِيبُ عَلِيٍّ مِنَ المُسْتَشْفَى، وَمِنْ ثُمَّ نَضَعُ الخُطَّةَ، وَسَأُطْلِعُكُمْ عَلَيْهَا لَاحِقًا بِالتَّفْصِيلِ، وَلَكِنَّ الآنَ يَجِبُ أَنْ نُسْرِعَ قَبْلَ أَنْ يَعْثُرَ عَلَيْنَا سَهْدَانُ، عَلَيْنَا تَهْرِيبُ عَلِيٍّ حَتَّى يُكْمِلَ مَعَنَا الدَّائِرَةَ.

هِبَة: أَنَا الطَّبِيبَةُ فِي ذَلِكَ القِسْمِ، وَهُوَ المَرِيضُ الخَاصُّ بِي. يُمْكِنُ أَنْ نَسْتَخْرِجَ تَصْرِيحًا بِخُرُوجِهِ فِي أَسْرَعِ وَقْتٍ.

سيف: وَلَكِنْ يَا هِبَةُ ذَلِكَ سَيَأْخُذُ وَقْتًا طَوِيلاً وَلَنْ نَسْتَطِيعَ اسْتِخْرَاجَ إِذْنِ الخُرُوجِ بِالسُّرْعَةِ الكَافِيَةِ.

مَسْعُود: أَجَلْ، هَذَا الكَلَامُ صَحِيحٌ وَعَلَيْنَا التَّحَرُّكَ اليَوْمَ قَبْلَ الغَدِ، يَجِبُ قَتْلُ سَهْدَانَ؛ فَلَمْ يَبْقَ عَلَى القَمَرِ الدَّمَوِيِّ سِوَى لَيْلَتَيْنِ فَقَطْ.

مُنْتَصِرٌ: أَنَسِيتُمْ أَمْرِي؟ هَلْ نَسِيتُمْ أَنَّنِي ضَابِطٌ؟ يُمْكِنُنِي أَنْ أَحْصُلَ لَهُ عَلَى تَصْرِيحٍ بِالخُرُوجِ مِنْ مُدِيرِ المُسْتَشْفَى فِي أَسْرَعِ وَقْتٍ، بِشَكْلٍ قَانُونِيٍّ، حَتَّى لَوْ كَانَ لِمُدَّةِ لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ.

لَنْ يُهِمَّ ذَلِكَ، وَلَكِنْ يَجِبُ قَتْلُ الشَّيْطَانِ، وَمِنْ ثُمَّ نَحْصُلُ لَهُ عَلَى إِذْنِ خُرُوجٍ، وَالطَّبِيبَةُ هِبَةُ تَكْتُبُ فِي تَقْرِيرِهَا أَنَّهُ أَصْبَحَ سَلِيمًا، وَبِذَلِكَ يَخْرُجُ ابْنُكَ.

مَسْعُود: كَيْفَ سَتَفْعَلُ ذَلِكَ؟ كَيْفَ سَتَذْهَبُ إِلَى مُدِيرِ المُسْتَشْفَى وَتُقْنِعُهُ بِأَنْ يُعْطِيَ تَصْرِيحًا بِخُرُوجِ عَلِيٍّ لِمُدَّةِ لَيْلَةٍ؟

مُنْتَصِرٌ: أَلَمْ تَقُلْ إِنَّنِي مُتَعَجْرِفٌ مُتَكَبِّرٌ؟ هُنَا يَأْتِي دَوْرِي، سَتَرَوْنَ كَيْفَ سَأَجْعَلُ ابْنَكَ مَعَنَا هَيَّا بِنَا الآنَ.

سيف: إِلَى أَيْنَ؟ أَنَسِيتَ أَنَّنَا فِي المَسَاءِ وَاقْتَرَبْنَا مِنْ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ؟ أَيْنَ سَتَجِدُ المُدِيرَ؟

مُنْتَصِرٌ: حَسَنًا، لَنْذْهَبَ إِلَى بَيْتِهِ وَنَطْلُبَ مِنْهُ الإِمْضَاءَ عَلَى التَّصْرِيحِ، ثُمَّ نُحْضِرُهُ صَبَاحًا وَنُخْرِجُهُ.

سيف: وَكَيْفَ تَذْهَبُ فِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ إِلَى بَيْتِ مُدِيرِ المُسْتَشْفَى وَتُقْنِعُهُ بِأَنَّكَ لَنْ تُهَرِّبَ المَرِيضَ؟ كَيْفَ سَيَقْتَنِعُ أَنَّ هَذَا أَمْرٌ طَبِيعِيٌّ يَقُومُ بِهِ ضَابِطٌ وَدُكْتُورَةٌ؟ يَجِبُ أَنْ نَنْتَظِرَ حَتَّى الصَّبَاحِ مِنْ أَجْلِ الشَّكْلِ العَامِّ.

مَسْعُود: حَقًّا يُمْكِنُ الِاعْتِمَادُ عَلَيْكَ يَا بُنَيَّ، وَلَكِنْ عَلَيْنَا الإِسْرَاعُ جِدًّا، وَإِلَّا ضَاعَتْ كُلُّ جُهُودِنَا هَبَاءً، وَكُلُّ التَّضْحِيَاتِ وَالأَرْوَاحِ الَّتِي فُقِدَتْ.

مُنْتَصِرٌ: حَسَنًا، هَيَّا بِنَا لِنَذْهَبَ لِنَسْتَرِيحَ وَنَأْتِيَ صَبَاحًا.

مَسْعُود: لَا يَا مُنْتَصِرُ انْتَظِرْ لَا يُمْكِنُكَ ذَلِكَ الآنَ، لَا تَسْتَطِيعُ الخُرُوجَ مِنْ هُنَا حَتَّى نَنْتَهِيَ مِنْ ذَلِكَ، وَإِلَّا عَثَرَ عَلَيْكَ سَهْدَانُ وَقَتَلَكَ؛ لِأَنَّهُ عَلِمَ بِوُجُودِكَ مَعِي، وَأَنَّنَا نُرِيدُ قَتْلَهُ وَلَكِنْ يُمْكِنُكَ النَّوْمُ هُنَا حَتَّى الصَّبَاح.

مُنْتَصِرٌ: حَسَنًا يَا رَجُلُ، وَلَكِنْ كَيْفَ لِلطَّبِيبَةِ هِبَةَ أَنْ تَنَامَ مَعَنَا هُنَا فِي هَذَا البَيْتِ، وَنَحْنُ كُلُّنَا ذُكُورٌ دُونَهَا؟

مَسْعُود: لَا تَقْلَقْ، سَآتِي بِزَوْجَتِي لِتَنَامَ مَعَهَا فِي الغُرْفَةِ الدَّاخِلِيَّةِ مِنَ البَيْتِ، وَنَحْنُ سَنَنَامُ هُنَا حَتَّى الصَّبَاحِ، ثُمَّ نَتَحَرَّكَ إِلَى مَكْتَبِ مُدِيرِ المُسْتَشْفَى وَنُخْرِجُ عَلِيًّا.

مُنْتَصِرٌ: حَسَنًا إِذًا.

وَذَهَبَ مَسْعُودُ وَأَتَى بِزَوْجَتِهِ، فَدَخَلَتْ هِيَ وَهِبَةُ لِتَنَامَا اللَّيْلَةَ فِي ذَلِكَ المَكَانِ، وَأَمَّا مَسْعُودُ وَسَيْفٌ وَمُنْتَصِرٌ فَقَدْ أَخَذَ كُلٌّ مِنْهُمْ كَنَبَةً وَنَامَ عَلَيْهَا حَتَّى الصَّبَاحِ.

كَانَ البَيْتُ يُوحِي بِالفَزَعِ لِقِدَمِهِ وَشَكْلِ جُدْرَانِهِ القَدِيمَةِ وَكَثْرَةِ الشُّقُوقِ بِهَا، وَتِلْكَ المَصَابِيحُ الزَّيْتِيَّةُ الَّتِي تُضِيءُ المَكَانَ، وَلَكِنَّهُمْ تَشَجَّعُوا لِوُجُودِهِمْ بِالقُرْبِ مِنْ بَعْضِهِمُ البَعْضِ، فَلَمْ يَشْعُرُوا بِالخَوْفِ كَمَا كَانَ مُتَوَقَّعًا.

***

سَهْدَانُ: سَيِّدِي ظَامُ.

ظَامُ: لِمَ جِئْتَ إِلَيَّ دُونَ رَأْسِ مَسْعُودٍ يَا سَهْدَانُ؟ أَلَمْ أُحَذِّرْكَ مِنْ غَضَبِي؟

سَهْدَانُ: إِنْتَظِرْ سَيِّدِي فَأَنَا لَا يُمْكِنُنِي الْعُثُورُ عَلَيْهِ، قَدْ قَامَ بِإِخْفَاءِ نَفْسِهِ بِتَعْوِذَةِ التَّحْصِينِ وَلَا يُمْكِنُنِي تَجَاوُزُ الْحِصْنِ، إِنِ اقْتَرَبْتُ احْتَرَقْتُ يَا سَيِّدِي.

ظَامُ: إِذَا لِمَ جِئْتَ؟

سَهْدَانُ: جِئْتُ لِأُخْبِرَكَ أَنِّي قَدْ ذَهَبْتُ لِقَائِدِ جَيْشِ الْبَهَاطِلِ التِّسْعِ رَهْسَانَ فَهُوَ الْوَحِيدُ الْقَادِرُ عَلَى تَجَاوُزِ ذَلِكَ الْحِصْنِ، وَمِنْ خِلَالِ أَعْوَانِهِ يُمْكِنُهُ الْعُثُورُ عَلَى مَسْعُودٍ، وَعِندَ عُثُورِهِ عَلَيْهِ سَيَجْتَازُ التَّعْوِيذَةَ وَيَقْتُلُهُ.

ظَامُ: حَسَنًا وَلِمَ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ حَتَّى الآنَ؟

سَهْدَانُ: هَذَا مَا جَاءَ بِي إِلَيْكَ سَيِّدِي، فَقَدْ ظَنَنْتُ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ الْحَاكِمَ عَلَى الْعَشِيرَةِ وَلَكِنَّهُ طَلَبَ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ حَتَّى يُسَاعِدَنِي عَلَى تَحْرِيرِكَ.

ظَامُ: وَمَاذَا طَلَبَ إِذَا إِنْ لَمْ يَرِدْ السُّلْطَةَ عَلَى الْعَشِيرَةِ؟

سَهْدَانُ: إِنَّهُ يُرِيدُ... إِنَّهُ... إِنَّهُ...

ظَامُ: هَلْ سَتَظَلُّ تَقُولُ إِنَّهُ إِنَّهُ؟ مَاذَا يُرِيدُ؟ أَخْبِرْنِي.

سَهْدَانُ: إِنَّهُ يُرِيدُ قَارُورَةً مِنْ قَوَارِيرِكَ مِنْ الزَّبْرَقِ الْأَحْمَرِ، فَأَنْتَ الْوَحِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ الْعِدَّةَ مِنْ قَوَارِيرِ الزَّبْرَقِ الْأَحْمَرِ سَيِّدِي.

ظَامُ: مَاذَا تَقُولُ يَا أَحْمَقُ؟ عِندَمَا سَأَتَحَرَّرُ سَأَقْتَلِعُ لِسَانَهُ وَجُمْجُمَتَهُ لِما قال، كَيْفَ يَجْرُؤُ عَلَى طَلَبِ الزَّبْرَقِ الْأَحْمَرِ هَذَا اللَّعِينِ السَّافِلِ؟

سَهْدَانُ: هَذِهِ الطَّرِيقَةُ الْوَحِيدَةُ سَيِّدِي حَتَّى أُقْنِعَهُ بِأَنْ يُسَاعِدَنِي لِفَكِّ قَيْدِكَ وَيُمْكِنُكَ أَنْ تَقْتُلَهُ وَتَسْتَرِدُّ الْقَارُورَةَ بَعْدَ أَنْ نُحَرِّرَكَ.

ظَامُ: وَكَيْفَ تَظُنُّ أَنِّي سَأُطْلِعَكَ أَنْتَ الآخَرَ عَلَى مَكَانِ الزَّئْبَقِ الْأَحْمَرِ؟ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَلْمِسَ ذَلِكَ غَيْرِي.

سَهْدَانُ: أَبْعِدَ كُلِّ ذَلِكَ لَا يُمْكِنُكَ الثِّقَةُ بِي يَا سَيِّدِي؟

ظَامُ: أَجَلْ بِالطَّبْعِ، كَيْفَ لِي أَنْ أَثِقَ بِأَحْمَقٍ خَرِقٍ مِثْلَكَ تَمَكَّنَ مِنْهُ بَشَرِيٌّ وَسَلَبَهُ قُوَّتَهُ وَنَقَضَ مَعَهُ الْعَهْدَ؟

سَهْدَانُ: وَمَاذَا أَفْعَلُ حَتَّى تَثِقَ بِي سَيِّدِي حَتَّى أُحَرِّرَكَ مِمَّا أَنْتَ فِيهِ؟

ظَامُ: لَا شَيْءَ، اذْهَبْ فَقَطْ وَأْتِ لِي الآنَ بِالْقُرَابِينَ الْمُتَبَقِّيَةِ قَبْلَ لَيْلَةِ الْقَمَرِ الدَّمَوِيِّ، وَبَعْدَ ذَلِكَ لَنَرَى مَاذَا سَنَفْعَلُ مَعَ الْبَشَرِيِّ وَرَهْسَانِ ذَاكَ.

سَهْدَانُ: أَمْرُكَ سَيِّدِي.

ظَامُ: اِنصَرِفْ الآنَ.

***

وَنَامُوا حَتَّى الصَّبَاحِ وَعِندَمَا أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ اسْتَيْقَظُوا جَمِيعًا لِيُكْمِلُوا مَا اتَّفَقُوا عَلَيْهِ بِالْأَمْسِ.

وَقَامَ مَسْعُودٌ بِالتَّحَرُّكِ وَخَلْفَهُ سيفٌ وَمُنْتَصِرٌ وَهبَةُ وَوَصَلُوا حَتَّى بَابِ مَكْتَبِ مُدِيرِ الْمُسْتَشْفَى، الدَّكْتُورِ الْهَيْثَمِ كَانَ رَجُلاً كَبِيرًا تَجَعَّدَ

وَجْهُهُ وَأَبْيَضَ شَعْرُهُ وَلِحْيَتُهُ الْخَفِيفَةُ وأَصْلَعَ مُقَدَّمَةِ الرَّأْسِ قَصِيرَ الْقَامَةِ سَمِينَ الْبَطْنِ.

طَرَقَ مُنْتَصِرٌ الْبَابَ وَدَخَلَ عَلَى الدَّكْتُورِ فِي مَكْتَبِهِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ لَهُ: "ادْخُلْ حَتَّى." فَفَزِعَ الدَّكْتُورُ مِنْ مَكَانِهِ لِسُرْعَةِ الولوج.

مُنْتَصِرٌ: السَّلَامُ عَلَيْكُم يا دَكْتُورَ الْهَيْثَمِ ،نَأْسِفُ عَلَى الْإِزْعَاجِ وَطَرِيقَةِ الدُّخُولِ وَلَكِنَّ الْأَمْرَ هَامٌّ.

الْهَيْثَمُ: وَعَلَيْكُمُ السَّلَامُ ورَحمةُ اللَّه وبرَكاتُه. وَلَكِنَّ مَنْ أَنْتَ؟

مُنْتَصِرٌ: أَنَا الضَّابِطُ مُنْتَصِرٌ، وَهَذِهِ هِيَ بَطَاقَتِي الشَّخْصِيَّةُ حَتَّى تَتَأَكَّدَ.

الْهَيْثَمُ: مَاذَا هُنَاكَ يا سيفُ أَنْتَ وَهبَنةُ مَاذَا يَحْدُثُ؟

سِيفٌ: لَا تَقْلَقْ يا دَكْتُورُ لَا شَيْءَ ،مُنْتَصِرٌ أَرْجُوكَ دَعْنِي أَتَحَدَّثُ مَعَ الدَّكْتُورِ.

مُنْتَصِرٌ: حَسَنًا، وَلَكِنْ أَسْرِعْ فِي الحديث.

سيفٌ: يا دَكْتُورُ، هُنَاكَ مَرِيضٌ نُرِيدُ إِخْرَاجَهُ الآنَ.

الْهَيْثَمُ: وَمَاذَا فِي ذَلِكَ؟ لِمَاذَا كُلُّ ذَلِكَ؟ أَيْنَ تَقْرِيرُ الدَّكْتُورِ الْمُخْتَصِّ بِالْحَالَةِ؟

سيفٌ: لَا يُوجَدُ الآنَ تَقْرِيرٌ، وَلَكِنَّنَا نُرِيدُ إِخْرَاجَهُ لِأَمْرٍ هَامٍّ وَيُمْكِنُ أَنْ نُرَجِّعَهُ لِمَكَانِهِ غَدًا. نُرِيدُ إِخْرَاجَهُ لِيَوْمٍ وَاحِدٍ.

الْهَيْثَمُ: لَا يُمْكِنُ يا دَكْتُورُ سيفٌ. هَذَا يُعدُّ تَهْرِيبًا، وَخَاصَّةً أَنَّهُ مِنَ الْمَرْضَى النَّفْسِيِّينَ. فَلَا يُمْكِنُ ذَلِكَ حَتَّى التَّأَكُّدِ مِنْ شِفَائِهِ.

سيفٌ: سَنَفْعَلُ كُلَّ ذَلِكَ، وَلَكِنَّنَا عَلَيْنَا أَنْ نَأْخُذَهُ مَعَنَا الآنَ، ثُمَّ نَرَى إِن كُنَّا سَنُخْرِجُهُ مَرَّةً أُخْرَى أَمْ لَا وَلَكِنَّ الْأَهَمَّ أَنْ يَذْهَبَ مَعَنَا الآنَ.

الْهَيْثَمُ: كَيْفَ لَكَ أَنْ تَطْلُبَ مِنِّي ذَلِكَ يا دَكْتُورُ؟ أَنْتَ تَعْلَمُ قَوَانِينَ الْعَمَلِ. هَذَا سَيُقَدِّمُنِي لِلْقَانُونِ وَالْمُسَاءَلَةِ الْقَانُونِيَّةِ.

مُنْتَصِرٌ: يَبدو أَنَّكَ لَا تَرَى أَنَا مَوْجُودٌ هُنَا لَا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ أَنْ يَأْتِي بِاسْمِكَ فِي شَيْءٍ، سَنَذْهَبُ بِهِ وَنَعُودُ دُونَ أَنْ يَعْلَمَ بِذَلِكَ أَحَدٌ.

الْهَيْثَمُ: أَيْنَ الإِذْنُ بِإِخْرَاجِهِ يا حَضْرَةَ الضَّابِطِ؟ فَلْتَأْتِ لِي بِإِذْنٍ مِنَ النِّيَابَةِ.

مُنْتَصِرٌ: لَا تَجْعَلْنِي أَغْضَبُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ.

الْهَيْثَمُ: يُمْكِنُنِي أَنْ أُقَاضِيَكَ الآنَ عَلَى ذَلِكَ.

مُنتصِر: الآنَ قَدْ جَعَلْتَنِي غَاضِبًا لا مَحَالَةَ.

وَوَجَّهَ مُنتصِرٌ مَسَدَّسَهُ إِلَى رَأْسِ الدَّكْتُورِ وَهَدَّدَهُ بِأَنَّهُ إِنْ بَقِيَ حَيًّا لِيُقَاضِيَهُ عَلَى ذَلِكَ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا يَطْلُبُهُ مِنْهُ الآنَ سَيُفَجِّرُ رَأْسَهُ وَيَخْرُجُ مِنَ الْمُسْتَشْفَى دُونَ أَنْ يَشْعُرَ أَحَدٌ.

وَلَكِنْ سِيفٌ قَدْ أَمْسَكَ بِيدِ مُنتصِر بَعْدَ أَنْ كَادَ يَخْتَنِقُ الدَّكْتُورُ فِي يَدَيْهِ وَشُعُورِهِ بِالْفَزَعِ، فَقَدْ جَحَظَتْ عَيْنَاهُ وَاحْمَرَّ وَجْهُهُ مِنَ الِاخْتِناقِ،

وَلَكِنْ مُنتصِرٌ قَالَ لِلدَّكْتُورِ الهيثَمِ بِأَنْ يُعْطِيَهُ الإِذْنَ بِالذَّهَابِ الآنَ وَإِلَّا أَطْلق رَصَاصَتَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَبِالفِعْلِ قَدْ فَعَلَ ذَلِكَ الدَّكْتُورُ لِشِدَّةِ الخَوْفِ وَالِاخْتِناقِ فِي يَدَيْهِ، وَأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّ مُنتصِر لَا يَمْزَحُ وَأَنَّ الأَمْرَ جَادٌّ وَأَنَّهُ لَنْ يُسْجَنَ إِنْ قَتَلَهُ، وَسَيَخْرُجُ مِنَ القَضِيَّةِ سَالِمًا، فأَعْطَاهُ الدَّكْتُورُ الإِذْنَ بِالخُرُوجِ.

سيفٌ: أَتَأَسَّفُ جِدًّا لَكَ يَا دَكْتُورُ عَلَى مَا حَدَثَ، وَلَكِنَّهُ وَعد أَنْ أُعِيدَ المَرِيضَ غَدًا وَلَنْ أَتَأَخَّرَ ذَلِكَ وَعْدٌ عَلَيَّ لَا تَقْلَقْ يَا دَكْتُورُ.

هبَةٌ: ذَلِكَ المَرِيضُ أَحَدُ المَرْضَى الخَاصِّينَ بِي فلتجَازِنِي أَنَا يَا دَكْتُورُ إِنْ تَأَخَّرْنَا فِي إِعَادَتِهِ،

وَنَتَأَسَّفُ لِمَا حَدَثَ مِنَ الضَّابِطِ مُنتصِرٍ، وَلَكِنَّ الأَمْرَ شَدِيدُ الخَطَرِ.

وَانصَرَفُوا وَلَمْ يَنْطِقْ الدَّكْتُورُ الهيثَمُ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، فَكَانَ غَاضِبًا جِدًّا، وَأَخَذَ يَكُحُّ كَثِيرًا مِنْ شِدَّةِ الِاخْتِناقِ،وَتَرَكُوهُ وَذَهَبُوا لِيُحْضِرُوا عَلِيّ وَيَذْهَبُوا مَسْرِعِينَ.

وَدَخَلُوا عَلَى عَلِيّ الغُرْفَةَ وَقَالُوا لَهُ: هَيَّا لِنَسْرِعْ، وَذَهَبُوا جَمِيعًا كَالْبَرْقِ وَتَوَجَّهُوا نَحْوَ المَقَابِرِ الَّتِي يَكُونُ بِهَا سَهْدَانُ، حَيْثُ يَقُومُ بِعَمَلِ الطُّقُوسِ لِتَحْرِيرِ ظَامٍ.

دَخَلُوا إِلَى اَلْمَقَابِرِ وَتَوَجَّهُوا نَحْوَ قَبْرٍ قَدِيمٍ مُتَهَالِكٍ لَهُ بَابٌ خَشَبِيٌّ عَلَيْهِ قفْلٌ صَدِئٌ يُمْكِنُ لِأَيِّ أَحَدٍ مِنَ اَلمَارَّةِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ ذَلِكَ اَلقَبْرَ فِيهِ شَيْءٌ غَرِيبٌ وبه سِر لَعين لِوُجُودِ اَلكَثِيرِ مِنَ اَلقطَطِ اَلسودَاءِ وَاَلكِلَابِ فَوْقَهُ وَتِلْكَ اَلْغِربَان اَلَّتِي تُحْلِقُ وَتَحُومُ فَوْقَهُ وَتِلْكَ اَلْعَلاَمَةِ اَلَّتِي تُشْبِهُ قَرْنَيِّ اَلشيْطَانِ فَوْقَ اَلحَجَرِ اَلخَاصِ بِشَاهِدِ اَلقَبْرِ.

وَقَامَ مَسْعُودٌ بِكَسْرِ اَلقُفْلِ اَلَّذِي كُسِرَ بِضَرْبَةٍ وَاحِدَةٍ، وَنَزَلَ مَسْعُودٌ أَوَّلاً وَقَالَ لَهُمْ: "هَيَّا، اِنْزِلُوا لَا تَقْلَقُوا"، وَأَشْعَلُوا جَمِيعًا اَلْمَصَابِيحَ حَتَّى رَأَوْا فِي ظُلْمَةِ اَلقَبْرِ. وَقَامَ مَسْعُودٌ بِرَسْمِ دَائِرَةٍ يَتَوَسَّطُهَا نَجْمَةٌ خَمَاسِيَّةُ اَلاَذْرُعِ، رَسَمَهَا بِمَادَّةٍ سَائِلَةٍ لَوْنُهَا أَحْمَرُ وَكَأَنَّهَا دَمٌ، وَلَكِنَّهَا لَيْسَ بِدَمٍ، وَوَضَعَ فِي كُلِّ ذِرَاعٍ شَمْعَةٌ سَوْدَاءُ وَجَعَلَ كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمْ أَمَامَ كُلِّ شَمْعَةٍ.

أَصْبَحَ كُلٌّ مِّنَ اَلخمسَّةِ عَلَى خَمْسِ رُؤُوسٍ مِّنَ النَّجْمَةِ، وَأَمْسَكُوا بِأَيْدِي بَعْضُهُمْ البَعْض وَأَخَذَ يُرَدِّدُ مَسْعُودٌ اَلتَّعْوِيذَةَ اَلمُخْصصَةَ بِجَلْبِ سَهْدَانِ، وَقَالَ لِمُنْتَصِرٍ أَنْ يَقْرَأَ اَلقصِيدَةَ بَعْدَ أَنْ يَتَوَقَّفَ عَنْ اَلقِرَاءَةِ.

فَقَالَ مُنْتَصِرٌ: لِمَا لَا يَقْرَأُهَا اِبْنُكَ أَوْ سِيفُ؟

رَدَّ مَسْعُودٌ: سيفٌ وَعَلِيٌّ بِالفِعْلِ قَرَأَهَا، فَإِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ مَرَّةً أُخْرَى سَيَعْلَمُ سَهْدَانُ بِأَنَّهَا مَكِيدَةٌ، وَأَنْتَ يَا مُنْتَصِرٌ هُوَ اَلْوَحِيدُ اَلَّذِي لَمْ يَحْضُرْ، عَلَيْهِ وَلَا يُمْكِنُ أَنْ نَجْعَلَ هِبَةَ هِيَ اَلَّتِي تَقْرَأُ اَلقُصِيدَةَ.

مُنْتَصِرٌ: "وَلِمَا لَا؟"

مَسْعُودٌ: وَأَيْنَ اَلرَّجُولَةُ وَاَلشَّهَامَةُ يَا حَضْرَةَ اَلضابطِ؟ أَيْنَ رُجُولَتُكَ حَتَّى تَجْعَلَ مِنَ اَلفَتَاةِ يَحْضُرُ عَلَيْهَا اَلشيْطَانُ وَأَنْتَ تَقفُ هَـهُنَا وَتَقُولُ: لِمَا لَا ؟

سيفٌ: أَحَقًّا تَقُولُ مَا تَقُولُ يَا مُنْتَصِرُ؟ أَتُرِيدُ أَنْ تَكُونَ هِبَةُ بَدَلًا عَنكَ فِي مِثْلِ هَـذَه اَلاَشْيَاءِ؟

مُنْتَصِرٌ: "وَإِذَا مِتُّ أَنَا، أَسْتَكُونُ هِبَةُ سَعِيدَةٌ لِذٰلِكَ؟ وَإِن لَمْ تَسْتَطِيعُوا إِيقَافَ ذَلِكَ اَلشيْطَانِ أَلَنَ أُقْتَلُ أَمَامَكُمْ جَمِيعًا؟

هِبَةٌ: حَسَنًا، لَا تَقْلَقْ، لَيْسَ عِندِي مَانِعٌ لِذٰلِكَ.

سيفٌ: هِبَةٌ، لَا اِنْتَظِرِي، لَيْسَ كَذَلِكَ. كَيْفَ نَجْعَلُ مِنكِ أَنتِ اَلطُّعْمَ لِجَلْبِ ذَلِكَ اَلشيْطَانِ؟

مُنْتَصِرٌ: وَلِمَا لَا؟ هِيَ قَالَتْ مُوافِقَةً، لِمَا تُرِيدُ أَنْ تَجْعَلَنِي أَنَا الَّذِي أَمُوتُ؟"

مَسْعُودٌ: وَمَنْ قَالَ أَنَّ هُنَاكَ أَحَدًا سَيَمُوتُ؟ لَنْ يَمُوتَ أَحَدٌ آخَرُ لِذٰلِكَ أَتَيْنَا جَمِيعًا هُنَا لِقَتْلِ اَلشيْطَانِ قَبْلَ أَنْ يَقْتُلَنا جَمِيعًا.

سيفٌ: حَسَنًا يَا عَمُّ مَسْعُودٌ سَأَكُونُ أَنَا اَلطُّعْمَ، هَيَّا قُمْ بِمَا سَتَفْعَلُ.

مَسْعُودٌ: لَا يَا سيفُ، لَنْ يُجْدِي هَـٰذَا نَفْعًا، سَيَعْلَمُ بِالْمَكِيدَةِ كَمَا قُلْتُ سَابِقًا، يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مُنْتَصِرٌ

مُنْتَصِر: إِذًا هَكَذَا، حَسَنًا، وَلِمَ لا أُوَافِقُ عَلَى ذَلِكَ؟ وَلَكِنْ إِنْ شَعَرْتُ بِأَنَّكُمْ لَنْ تَسْتَطِيعُوا السَّيْطَرَةَ عَلَيْهِ، لَقَتَلْتُكُمْ جَمِيعًا قَبْلَ أَنْ يَقْتُلَنِي.

مَسْعُود: حَسَنًا إِذًا، وَلَكِنِّي فَعلتُ أَسْتَطَعْتُ مَرَّاتٍ عِدَّةً فِي ذَلِكَ. مَا عَلَيْكَ سِوَى أَنْ تَقْتُلَهُ عِنْدَ حُضُورِهِ وَتَجَسُّدِهِ أَمَامَكَ بَدَلًا عَنَّا، يَا أَحْمَقُ.

وَشَرَعُوا فِي فِعْلِ الطُّقُوسِ، وَأَخَذَ مَسْعُودٌ يُرَدِّدُ بَعْضَ الكَلِمَاتِ فِي سِرِّهِ، وَأَمَرَ الجَمِيعَ بِالجُلُوسِ فِي أَرْضِ القَبْرِ، وَأَنْ يُغْمِضُوا أَعْيُنَهُمْ، وَأَلَّا يَنْظُرَ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَى شَيْءٍ مَهْمَا سَمِعَ أَوْ شَعَرَ بِمَا حَوْلَهُ. وَأَخْبَرَ مُنْتَصِر بِأَنَّهُ عِنْدَمَا يَنْتَهِي مِنْ تَمْتَمَةِ التَّعْوِيذَةِ، عَلَيْهِ أَنْ يَقُولَ سَرِيعًا ذَلِكَ القَسَمَ الَّذِي عَلَى شَكْلِ قَصِيدَةٍ، وَمِنْ ثَمَّ يُحْضِرُ "سَهْدَانَ"، وَأَنَّ مَسْعُود سَيَسْلُبُهُ قُوَّتَهُ حَتَّى يُقْتَلَ.

وَبَعْدَمَا انْتَهَى بِالفِعْلِ مَسْعُودٌ مِمَّا يَقُولُ، صَمَتَ مُنْتَصِرٌ. فَأَخْبَرَهُ أَنْ عَلَيْهِ التَّحَدُّثَ الآنَ، وَلَكِنَّ مُنْتَصِر لَمْ يَتَحَدَّثْ مَرَّةً أُخْرَى. فَتَعَجَّبَ الجَمِيعُ مِنْ صَمْتِ مُنْتَصِرٍ، فَمَاذَا يَحْدُثُ حَتَّى لَا يَتَكَلَّمَ؟ فَنَظَرَ الجَمِيعُ إِلَى مَكَانِ مُنْتَصِر بِجَانِبِهِمْ فِي الدَّائِرَةِ، فَإِذَا بِمُنْتَصِر قَدْ هَرَبَ وَتَرَكَ الجَمِيعَ فِي القَبْرِ.

فَأَخْبَرَهُمْ مَسْعُودٌ: "اتْرُكُوهُ يَذْهَبْ، عَلَيْنَا أَنْ نُكْمِلَ مَا بَدَأْنَا قَبْلَ الغَدِ، وَإِلَّا تَحَرَّرَ ظَامُ فِي لَيْلَةِ القَمَرِ الدَّمَوِيِّ، وَهِيَ لَيْلَةُ غَدٍ."

وَقَالَ: "وَجَبَ عَلَى هِبَةَ الآنَ أَنْ تَقْرَأَ القَصِيدَةَ بَدَلًا عَن ذَلِكَ الجَبَانِ."

وَقَامَتْ هِبَةُ بِالفِعْلِ، وَبَدَأَتْ تَتْلُو القَصِيدَةَ. فَاشْتَعَلَتِ النِّيرَانُ فِي الكَثِيرِ مِنَ الشُّمُوعِ، وَوَصَلَ لَهِيبُ الشَّمْعَةِ الوَاحِدَةِ إِلَى نِهَايَةِ القَبْرِ. وَبَدَأَتْ ظِلَالٌ سَوْدَاءُ فِي الظُّهُورِ مِنْ حَوْلِهِمْ، تَجْرِي يَمِينًا وَيَسَارًا وتَحوم فى أرجاء المكان، وَصَدَرَتْ صَرَخَاتٌ مُدَوِّيَةٌ مِنَ القَبْرِ. وَخَرَجَتْ أَذْرُعٌ سَوْدَاءُ مِنْ جُدْرَانِ المَقْبَرَةِ، وَأَمْسَكَتْ بِمَسْعُودٍ وَسَيْفٍ وَعَلِيٍّ...

أَمَّا هِبَةُ، فَفَزِعَتْ مِمَّا يَحْدُثُ. فَمَا ذَلِكَ الَّذِي يَحْدُثُ الآنَ؟ هَذَا لَمْ يَكُنْ فِي الحُسْبَانِ، وَلَمْ يَتَوَقَّعْ أَحَدٌ مِنهُم ذَلِكَ.

وَقَامَ مَسْعُودٌ بِالصُّرَاخِ عَالِيًا وَهُوَ يَقُولُ: "التَّحْصِينُ!" وَلَكِنَّ الأَذْرُعَ أَسْكَتَتْهُ تَمَامًا وَأَخْرَسَتْهُ. وَتَجَسَّدَ "سَهْدَانُ" أَمَامَ المِسْكِينَةِ هِبَةَ الَّتِي ظَلَّتْ لِوَحْدِهَا فِي أَرْضِ القَبْرِ، وَالبَقِيَّةُ مُثَبَّتُونَ عَلَى جُدْرَانِ القَبْرِ مِنَ الدَّاخِلِ.

وَضَحِكَ اللَّعِينُ فِي وَجْهِهِمْ جَمِيعًا، وَفَزِعَتْ هِبَةُ لِمَا تَرَى مِنْ بَشَاعَةِ المَنْظَرِ. وَلَكِنْ إِذْ بِرَجُلٍ يَدْخُلُ القَبْرَ وَهُوَ يَصْرُخُ: "مَاذَا يَحْدُثُ؟" وَلَكِنَّهُ كَانَ حَارِسَ القُبُورِ. فَإِذَا بِسَهْدَانَ يُمَزِّقُ جَسَدَهُ وَيَقْتَلِعُ رَأْسَهُ بِضَرْبَةٍ أَوْدَتْ بِحَيَاتِهِ فِي لَحْظَةٍ.

وَأَغْلَقَ سَهْدَانُ بَابَ القَبْرِ، وَأَخَذَ يَضْحَكُ عَلَى مَسْعُودٍ، وَقَالَ لَهُ: "قَدْ وَقَعْتَ الآنَ، وَهَذَا هُوَ يَوْمُكَ، وَتِلْكَ لَحْظَتُكَ، يَا مَسْعُودُ. سَأَقْتُلُهُمْ جَمِيعًا أَمَامَكَ وَأُحَرِّرُ سَيِّدِي، ثُمَّ أَجْعَلُ مِنْكَ غِذَاءً لَهُ."

وَأَخَذَ سَهْدَانُ بِضَرْبِ مَسْعُودٍ، وَهُوَ يَصْرُخُ مِنْ شِدَّةِ الأَلَمِ. وَكَانَتْ هِبَةُ المِسْكِينَةُ مَغْشِيًّا عَلَيْهَا فِي جَانِبِ القَبْرِ مِمَّا حَدَثَ. وَضَرَبَ سَهدان عَلِيٍّ وَسَيْف.

هِبَةُ، هِبَةُ! أَيْنَ أَنْتِ يَا هِبَةُ؟

مَنْ الَّذِي يُنَادِي؟ أَيْنَ أَنَا؟

وَالِدَةُ هِبَةَ: أَيْنَ أَنْتِ يَا شَقِيَّةُ؟ تَعَالِي هُنَا حَتَّى تَأْكُلِي.

هِبَةُ: أَيْنَ أَنَا الآنَ؟

وَإِذَا بِصَوْتٍ صَغِيرٍ مِنْ خَلْفِهَا، فَتَرَى نَفْسَهَا وَهِيَ صَغِيرَةٌ، وَتَقُولُ لِأُمِّهَا:

الطِّفْلَةُ: لَا يَا أُمِّي، سَأَلْعَبُ قَلِيلاً، وَثُمَّ آتِي.

فَتَذَكَّرَتْ هِبَةُ تِلْكَ اللَّحْظَةَ فِي طُفُولَتِهَا، فَعَلِمَتْ أَنَّهَا تَرَى ذِكْرَيَاتِهَا القَدِيمَةَ عِنْدَمَا كَانَتْ صَغِيرَةً، عِنْدَمَا كَانَتْ سَعِيدَةً.

وَلَكِنْ، خَرَجَ شَيْءٌ مِنْ خَلْفِ وَالِدَةِ هِبَةَ، وَاخْتَرَقَ رَقَبَتَهَا وَسَحَبَهَا إِلَى الظَّلَامِ. فَصَرَخَتِ الطِّفْلَةُ وَسَقَطَتْ أَرْضًا. وَلَكِنَّ هِبَةَ الكَبِيرَةَ فَزِعَتْ وَوَقَعَتْ أَرْضًا. وَلَكِنَّهَا نَهَضَتْ سَرِيعًا وَدَخَلَتْ فِي الظَّلَامِ، لِتَرَى سَهْدَانَ يُمَزِّقُ جَسَدَ أُمِّهَا أَمَامَهَا.

وَإِذَا بِالمَكَانِ يَتَغَيَّرُ، لِتُصْبِحَ فِي المَدْرَسَةِ، وَكَأَنَّهَا تَرَى مَشَاهِدَ فِي فِيلْمٍ قَدِيمٍ، وَهِيَ تَنْظُرُ وَتُشَاهِدُ فَقَطْ مَا يَحْدُثُ لَهَا.

لَوْ نَظَرْتَ إِلَى يَمِينكَ الآنَ، سَتَجِد هِبَةَ تَجْلِسُ بِجَانِبِ صَدِيقَتِهَا المُقَرَّبَةِ، وَهُمَا يَتَحَدَّثَانِ وَيَضْحَكْنَ. وَقَامَتْ صَدِيقَتُهَا حَتَّى تَدْخُلَ إِلَى الحَمَّامِ، وَتَرَكَتْ هِبَةَ فِي بَاحَةِ المَدْرَسَةِ، وَقَالَتْ لَهَا: "سَأَعُودُ سَرِيعًا."

وَبَعْدَ لَحَظَاتٍ وَجِيزَةٍ، تَسْمَعُ صُرَاخَ صَدِيقَتِهَا. فَأَسْرَعَتِ الشَّابَّةُ لِتَرَى مَاذَا حَدَثَ لِصَدِيقَتِهَا وَمَا ذَلِكَ الصُّرَاخُ، لِتَرَى سَهْدَانَ يَرْفَعُ رَأْسَهَا عَالِيًا دُونَ جَسَدِهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ دِمَائِهَا.

وَلَكِنَّهُ هَجَمَ عَلَيْهَا سَهْدَانُ حَتَّى يُمَزِّقَهَا هِيَ الأُخْرَى، وَصَرَخَتِ المِسْكِينَةُ. وَلَكِنْ تَغَيَّرَ المَكَانُ مَرَّةً أُخْرَى سَرِيعًا، حَتَّى تَرَى نَفْسَهَا وَهِيَ تَجْلِسُ فِي مَكْتَبِهَا فِي المُسْتَشْفَى.

وَكَانَتْ تُشَاهِدُ شَيْئًا فِي هَاتِفِهَا. فَتَحَرَّكَتْ هِبَةُ خَلْفَ شَبِيهَتِهَا حَتَّى تَرَى مَاذَا تُشَاهِدُ فِي الهَاتِفِ. فَوَجَدَتْ أَنَّ صُورَةَ سَيْف عَلَى شَاشَةِ الهَاتِفِ، وَشَبِيهَتَهَا تَضْحَكُ حُبًّا بِابْتِسَامَةٍ خَفِيفَةٍ.

فَتَحَرَّكَتْ هِبَةُ لِلْخَلْفِ قَلِيلاً لِتسْمحَ لِلأُخْرَى بِالحَرَكَةِ. وَذَهَبَتْ شَبِيهَتُهَا إِلَى البَابِ وَخَرَجَتْ. فَذَهَبَتْ خَلْفَهَا لِتَرَى أَيْنَ سَتَذْهَبُ.

فَوَجَدَتْ أَنَّ المُسْتَشْفَى خَالِيَةٌ، وَشَبِيهَتُهَا تَمْشِي فِي طُرُقَاتِ المُسْتَشْفَى. فَتَحَرَّكَتْ خَلْفَهَا حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى بَابِ مَكْتَبٍ آخَرَ. وَدلفَتْ خَلْفَهَا حَتَّى تُشَاهِدَ نَفْسَهَا فِي مَكْتَبِ الدُّكْتُورِ سَيْف، وَقَدْ كَانَتْ فِي أَحْضَانِهِ، مُحْتَضِنَةً لَهُ بِشِدَّةٍ، وَكَانُوا يَتَحَدَّثُونَ.

وَلَكِنَّ هِبَةَ لَا تَسْمَعُ شَيْئًا مِمَّا يَقُولُونَ. وَفَجْأَةً، إِذَا بِسَيْف يَنْظُرُ إِلَى هِبَةَ الحَقِيقِيَّةِ، وَيَفْتَحُ عَيْنَيْهِ بِذُهُولٍ كَبِيرٍ.

فَفَزِعَتْ هِبَةُ، فَقَدْ ظَنَّتْ أَنَّهُ رَآهَا فِعْلًا. وَتَحَرَّكَتْ خُطُوَاتٍ لِلْخَلْفِ. وَلَكِنْ إِذَا بِسَيْف يُبْعِدُ هِبَةَ الَّتِي كَانَتْ فِي حضْنِهِ، وَيُمْسِكُ صَدْرَهُ، وَيَرَى دِمَاءً فِي يَدِهِ.

فَيَسْقُطُ أَرْضًا، وَشَبِيهَةُ هِبَةَ تَصْرُخُ عَلَى سَيْف وَتَقُولُ: "لَا تَذْهَبْ! لَا تَتْرُكْنِي!"

وَأَمْسَكَتْ بِرَأْسِهِ وَهُوَ عَلَى الأَرْضِ، وَوَضَعَتْ رَأْسَهُ عَلَى صَدْرِهَا وَتَقُولُ: "لَا، لَا يَا سَيْف! ابْقَ مَعِي! لَا تَمُتِ الآنَ وَتَتْرُكْنِي!"

وَإِذَا بِهِبَةَ تَبْكِي وَتَصْرُخُ هِيَ الأُخْرَى لِمَا رَأَتْ. وَقَامَتْ بِالإِسْرَاعِ هِيَ الأُخْرَى لِتَرَى سَيْف وَمَا حَدَثَ لَهُ، لِتَجِدَهُ يَلْفِظُ أَنْفَاسَهُ الأَخِيرَةَ، وَيَقُولُ لَهَا:

"وَالْقَلْبُ يَمِيلُ لِمَنْ يَلِينُ لَهُ..."

وَلَكِنَّهُ قَدْ مَاتَ، فَوَقَفَتْ عَلَى قَدَمَيْهَا تَلْتَفِتُ فِي أَرْجَاءِ الْمَكْتَبِ لِتَرَى أَيْنَ هُوَ سهْدَانُ، فَوَجَدَتْهُ مُعَلَّقًا فِي سَقْفِ الْمَكْتَبِ يَضْحَكُ. وَلَكِنَّهُ سَقَطَ عَلَيْهَا حَتَّى يَقْتُلَهَا هِيَ الْأُخْرَى.

وَلَكِنْ تَسْتَيقِظُ هِبَةُ مِنْ كَابُوسِهَا اللَّعِينِ الْمُفْزِعِ لِتَرَى أَنَّ الْجَمِيعَ فِي الْقَبْرِ مُثَبَّتُونَ فِي الْجُدْرَانِ، وَسَهْدَانُ أَمَامَهَا أَمْسَكَ بِرَأْسِ سَيْف. وَلَكِنَّ هِبَةَ قَامَتْ بِضَرْبِ سهْدَانَ حَتَّى يَتْرُكَ سَيْف، فَالْتَفَتَ إِلَيْهَا فِي غَضَبٍ عَارِمٍ، وَلَكِنْ لَمْ تَخَفْ مِنْهُ هِبَةُ هَذِهِ الْمَرَّةَ، وَوَاجَهَتْهُ بِشَجَاعَةٍ

وَقَالَتْ: "أَنَا أَتَذَكَّرُ الْقَسَمَ الَّذِي يَسْلُبُكَ قُوَّتَكَ، فَقَدْ قَالَهُ أَمَامِي مُنْتَصِرُ الْجَبَانُ عِنْدَمَا أَتَى لَنَا وَنَحْنُ فِي الْمُسْتَشْفَى".

وَأَخَذَتْ تُرَدِّدُ الْقَسَمَ وَطَلْسَمَ الْحِمَايَةِ فَقَالَتْ:

أُقْسِمُتْ عَلَيْكُمْ يَا مَعَاشِرَ الْأَرْوَاحِ الْعُلْوِيَّةِ،

أَقْسمُتْ عَلَيْكُمْ يَا مَعَاشِرَ الْجِنِّ السُّفْلِيَّةِ،

أَقْسمُتُ عَلَيْكَ يَا طَارِشُ أَنْتَ وَخُدَّامُكَ وَخُدَّامُ حَرْفِ الْأَلِفِ،

وَبِحَقِّ مَا أَقْسمُتُ بِهِ عَلَيْكُمْ، وَبِحَقِّ صَارُوتَ وَظَامَ وَعَزَازِيلَ،

وَأُقْسِمُتْ عَلَيْكُمْ بِصَارُوتَ وَظَامَ وَعَزَازِيلَ، فَرِّقُوا قُوَّتَهُ وَجَرِّدُوهُ مِنْ جَسَدِ الْبَشَرِيِّ.

أُخْرُجْ يَا سهْدَانُ وَإِلَّا حُرِقْتَ فِي نَارِ السَّمُومِ، بِحَقِّ اسْمِ اللَّهِ الَّذِي زَلْزَلَ كُلَّ شَيْطَانٍ.

أَقْسمُتْ عَلَيْكُمْ يَا مَعَاشِرَ الْأَرْوَاحِ الْعُلْوِيَّةِ،

أَقْسمُتْ عَلَيْكُمْ يَا مَعَاشِرَ الْجِنِّ السُّفْلِيَّةِ،

أَقْسمُتُ عَلَيْكَ يَا طَارِشُ أَنْتَ وَخُدَّامُكَ وَخُدَّامُ حَرْفِ الْأَلِفِ،

وَبِحَقِّ مَا أَقْسمُتُ بِهِ عَلَيْكُمْ، وَبِحَقِّ صَارُوتَ وَظَامَ وَعَزَازِيلَ،

وَأَقْسمُتْ عَلَيْكُمْ بِصَارُوتَ وَظَامَ وَعَزَازِيلَ، فَرِّقُوا قُوَّتَهُ وَجَرِّدُوهُ مِنْ جَسَدِ الْبَشَرِيِّ.

أُخْرُجْ يَا سهْدَانُ وَإِلَّا حُرِقْتَ فِي نَارِ السَّمُومِ، بِحَقِّ اسْمِ اللَّهِ الَّذِي زَلْزَلَ كُلَّ شَيْطَانٍ.

وَأَخَذَتْ تُرَدِّدُ ذَلِكَ حَتَّى صَرَخَ سهْدَانُ وَفَكَّ قَيْدَ مَسْعُودٍ وَسَيْفٍ وَعَلِيٍّ. وَلَكِنَّ مَسْعُودَ قَامَ سَرِيعًا بِمُسَاعَدَةِ هِبَةَ وَقَالَ لَهَا: "ذَلِكَ الْقَسَمُ لَيْسَ كَامِلًا، هُوَ يُضْعِفُهُ لَا أَكْثَرَ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ الْقَسَمَ يُقَالُ عِنْدَمَا يَكُونُ مُتَلَبِّسًا بِأَحَدٍ". فَجَعَلَهَا هِيَ تَسْكُتُ وَأَخَذَ يُرَدِّدُ هُوَ الْآخَرُ وَقَالَ لِلْجَمِيعِ: "رَدِّدُوا خَلْفِي فَلَنْ نَسْلُبَهُ الْقُوَّةَ بَلْ سَنُحْرِقُهُ".

ثُمَّ بَدَأَ يُرَدِّدُ:

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، بِكَ تَحَصَّنْتُ فَاحْمِنِي.

بِحِمَايَة، كِفَايَة، وِقَايَة، حَقِيقَة، بُرْهَان، حِرْز، أَمَان، بِسْمِ اللَّهِ.

وَأَدْخِلْنِي يَا أَوَّلُ يَا آخِرُ فِي مَكْنُونِ غَيْبِ سِرِّ دَائِرَةِ كِنْز مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

وَأَسْبِلْ عَلَيَّ يَا حَلِيمُ يَا سَتَّارُ كَنَفَ سِتْرٍ حِجَاب صِيَانَة نَجَاة (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ).

وَابْنِ يَا مُحِيطُ يَا قَادِرُ عَلَيَّ سُورَ أَمَانِ إِحَاطَةِ مَجْد سُرَادِقَ عِزّ عَظَمَةٍ (ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ).

اللَّهُمَّ بِسَطْوَةِ جَبَرُوتِ قَهْرِكَ، وَبِسُرْعَةِ إِغَاثَةِ نَصْرِكَ، وَبِغَيْرَتِكَ لِانْتِهَاكِ حُرُمَاتِكَ، وَبِحِمَايَتِكَ لِمَنْ احْتَمَى بِآيَاتِكَ، أَسْأَلُكَ يَا اللَّهُ يَا

سَمِيعُ يَا قَرِيبُ يَا مُجِيبُ يَا سَرِيعُ يَا مُنْتَقِمُ يَا شَدِيدَ الْبَطْشِ يَا جَبَّارُ يَا قَهَّارُ، يَا مَنْ لَا يُعْجِزُهُ قَهْرُ الْجَبَابِرَةِ وَلَا يَعْظُمُ عَلَيْهِ هَلَاكُ الْمُتَمَرِّدَةِ مِنَ الْمُلُوكِ الْأَكَاسِرَةِ، أَنْ تَجْعَلَ كَيْدَ مَنْ كَادَنِي فِي نَحْرِهِ.

بِسْمِ الْإِلَهِ الْخَالِقِ الْأَكْبَرِ، وَهُوَ حِرْزٌ مَانِعٌ مِمَّا أَخَافُ وَأَحْذَرُ.

لَا قُدْرَةَ لِمَخْلُوقٍ مَعَ قُدْرَةِ الْخَالِقِ، يُلْجِمُهُ بِلِجَامِ الْقُدْرَةِ، قُدْرَتُهُ أَحْمَا حَمِيثَا أَطْمَا طَمِيثَا، وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا.

أَحْرَقَهُ اللَّهُ فِي نَارِ السَّمُومِ، مَا يَقِيَ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَا مَعْلُومٌ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ:

(اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ، لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ، يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ، وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ، وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا، وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ).

بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، بِكَ تَحَصَّنْتُ فَاحْمِنِي.

بِحِمَايَةٍ، كِفَايَة، وِقَايَة، حَقِيقَة، بُرْهَان، حِرْز، أَمَان، بِسْمِ اللَّهِ.

وَأَدْخِلْنِي يَا أَوَّلُ يَا آخِرُ فِي مَكْنُونِ غَيْبِ سِرِّ دَائِرَةِ كِنْز مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

وَأَسْبِلْ عَلَيَّ يَا حَلِيمُ يَا سَتَّارُ كَنَفَ سِتْرٍ، حِجَابَ صِيَانَةَ نَجَاةَ (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ).

وَابْنِ يَا مُحِيطُ يَا قَادِرُ عَلَيَّ سُورَ أَمَانِ إِحَاطَةِ مَجْدٍ، سُرَادِقَ عِزِّ عَظَمَةَ (ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ).

اللَّهُمَّ بِسَطْوَةِ جَبَرُوتِ قَهْرِكَ، وَبِسُرْعَةِ إِغَاثَةِ نَصْرِكَ، وَبِغَيْرَتِكَ لِانْتِهَاكِ حُرُمَاتِكَ، وَبِحِمَايَتِكَ لِمَنْ احْتَمَى بِآيَاتِكَ، أَسْأَلُكَ يَا اللَّهُ يَا سَمِيعُ يَا قَرِيبُ يَا مُجِيبُ يَا سَرِيعُ يَا مُنْتَقِمُ يَا شَدِيدَ الْبَطْشِ يَا جَبَّارُ يَا قَهَّارُ، يَا مَنْ لَا يُعْجِزُهُ قَهْرُ الْجَبَابِرَةِ وَلَا يَعْظُمُ عَلَيْهِ هَلَاكُ الْمُتَمَرِّدَةِ مِنَ الْمُلُوكِ الْأَكَاسِرَةِ، أَنْ تَجْعَلَ كَيْدَ مَنْ كَادَنِي فِي نَحْرِهِ.

بِسْمِ الْإِلَهِ الْخَالِقِ الْأَكْبَرِ، وَهُوَ حِرْزٌ مَانِعٌ مِمَّا أَخَافُ وَأَحْذَرُ.

لَا قُدْرَةَ لِمَخْلُوقٍ مَعَ قُدْرَةِ الْخَالِقِ، يُلْجِمُهُ بِلِجَامِ الْقُدْرَةِ، قُدْرَتُهُ أَحْمَا حَمِيثَا أَطْمَا طَمِيثَا، وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا.

أَحْرَقَهُ اللَّهُ فِي نَارِ السَّمُومِ، مَا بَقِيَ مِنْهُ شَيْ وَلَا مَعْلُومٌ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ:

(اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ، لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ، يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ، وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ، وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا، وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ).

بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

وردَّدوا جميعًا كثيرًا حتى اشتعلتِ النِّيرانُ في القبرِ من كلِّ مكانٍ، واشتعلَ سَهْدانُ وصَرَخَ صرخاتٍ مدوِّيَةً، واحترقَ سَهْدانُ في وسطِ الدائرةِ التي كانوا بها وهو يستغيثُ، وتَصْرُخُ الشَّياطينُ وتهيمُ من كلِّ مكانٍ في هيئةِ دُخانٍ أسودَ شفَّافٍ، وأصواتُ العذابِ والجحيمِ تصدُرُ من كلِّ مكانٍ.

ولكن هِبَةُ سَقَطَتْ أرضًا، فأسرعَ سَيْفٌ بحملِها والجريِ بها إلى المستشفى حتى تتعافى مما حدث، فكان كلُّ ذلك مُرْهِقًا حقًّا.

في المستشفى...

يَجلِسُ سَيْفٌ بجانبِ هِبَةَ وهي فاقدةٌ للوعيِ، وكان عليٌّ ووالدهُ مَسْعُودُ يَقِفانِ خارجَ الغرفةِ، حتى أتَتْ والدةُ هِبَةَ هي الأُخرى إلى المستشفى، وبَقِيَتْ والدتُها معها، وخَرَجَ سَيْفٌ ليَقِفَ معَ الرجالِ في الخارج.

عَلِي: ماذا سيَحدُثُ الآنَ بعد قتلِنا أو حَرْقِنا لِسَهْدان؟

مَسْعُود: علينا الإسراعُ قبلَ الغَدِ لتقييدِ ظامٍ من جديدٍ حتى لا يتحرَّرَ.

عَلِي: ولكننا حَرَقْنا سَهْدانَ الذي كان يريدُ تحريرَهُ، فكيف سيتحرَّرُ؟

مَسْعُود: يا بُنَيَّ، لم يُحرِّرْهُ بعدُ، ولكنَّهُ أضعَفَ القيودَ والطَّلاسمَ التي تَحبِسُ ظام، فعلينا تجديدُ الطلاسمِ حتى لا يستطيعَ الفِرارَ.

عَلِي: وماذا سنفعلُ حتى نُقَيِّدَهُ جيدًا من جديد؟

مَسْعُود: سنذهبُ إلى ذلكَ الكَهْفِ مُجددًا، حيثُ ذَهَبْتُ وأنا شابٌّ في عُمُرِكَ، وسنُلقي عليهِ تَعويذَةً ونُقيمُ رَصْدًا عليهِ حتى لا يُقبِلَ أحدٌ من الجِنِّ مرةً أُخرى لتحريرِ ظامٍ، وسنُجَدِّدُ الطَّلاسمَ التي على القيودِ، وهكذا لن يَفْلِتَ أبدًا من ذلكَ.

عَلِي: ومتى سنذهبُ؟ نحنُ الآنَ أصبحنا في مُنتصفِ الليلِ يا أَبِي، ويَلزَمُ الوصولُ إلى ذلكَ الكَهْفِ وقتًا كثيرًا بالتأكيدِ.

مَسْعُود: لذلكَ علينا الإسراعُ حتى نصلَ سريعًا قبلَ غدٍ في الليلِ.

عَلِي: ولماذا إذًا؟ فذلكَ الوقتُ هو الذي كان سيتحرَّرُ فيهِ، فلماذا نُسرِعُ هكذا؟ ومن كان يُحاوِلُ تحريرَهُ لن يُصبحَ في الوجودِ مرةً أُخرى.

مَسْعُود: لأنَّ القمرَ الدَّمويَّ ليسَ من أجلِ تحريرِ ظامٍ فقطْ يا غبيِّ.

عَلِي: وإنَّما لماذا؟

مَسْعُود: في ليلةِ القمرِ الدَّمويِّ تكونُ جميعُ القوى في أشدِّ حالاتِها، مما يجعلُ الوصولَ إلى عالمِهم السُّفليِّ سهلاً، وكذلكَ الخروجَ منهُ. أي أنَّهُ يمكنُ خروجُ الكثيرِ من الجِنِّ والشياطين إلى هذا العالم، ولا ندري أيُّ منهم سيخرجُ. فقد يكونُ من بينهم مَن هو خادمٌ لِظام ويُحاولُ تحريرَهُ. بالإضافةِ إلى أنَّ قوَّةَ ظام نفسهُ تكونُ

كبيرةً في تلكَ الليلةِ، فلا نعلمُ أيمكنهُ كسرُ القيودِ أم لا حينَها. لأنَّهُ إنْ حدثَ وتحرَّرَ، لن يكونَ أمامَنا وقتٌ لنعرفَ ذلكَ، سنكونُ موتى حينئذٍ.

عَلِي: حسنًا إذًا، مَن سيذهبُ إلى هناكَ؟

سَيْف: بالتأكيدِ لن أتركَكم في هذا، فقد بدأنا ذلكَ معًا، ويجبُ إنهاؤهُ معًا.

مَسْعُود: لا يا سيفُ، لا تقلقْ. يجبُ عليكَ البقاءُ للاعتناءِ بِهِبَةَ المسكينةِ، فهي الآنَ تحتاجُ إليكَ أكثرَ من ذي قَبْلِ.

عَلِي: أجل، عليكَ ذلكَ. سنذهبُ أنا وأبي لفعلِ ذلكَ.

والدةُ هِبَة: سَيْفُ، هِبَةُ قد استعادَتْ وعيَها وتريدُ رؤيتَكَ.

وأسرعوا جميعًا للدخولِ، وجلسَ سَيْفٌ بجانبِها، وأمسكَ بيدِها حتى تطمئِنَّ لوجودِهِ، ونظَرَ في عينيها وأطالَ النَّظرَ.

سَيْف: هل أنتِ بخيرٍ يا هِبَة؟

هِبَة: أَجَلْ، إنَّني بخيرٍ، لا تَقْلَقْ.

مَسْعُود: حَمْدًا للهِ على سلامَتِكِ يا بُنَيَّتِي.

هِبَة: الله يسلِّمكَ يا عَمَّ مَسْعُود. وشُكرًا لكَ كثيرًا.

مَسْعُود: عَلَى مَاذا يا بُنَيَّتِي؟ فلولاكِ أنتِ لَكُنَّا الآنَ في عداد الموتى فى ذلكَ القبرِ أو في فَمِ ظام وسَهْدانَ. فشكرًا لكِ أنتِ يا هِبَة، حقًّا قد أنقذتِنا جميعًا.

هِبَة: وشُكرًا لكَ أيضًا لأنَّكَ قد جَعَلْتَني أقتربُ من سَيْف أكثرَ، وأَفْصَحْتُ عمَّا بداخلي والبَوح بما لا أستطيع البَوح به في ذلكَ اليومِ، ودونَ ذلكَ لم أكنْ لأَقدِرَ على المُواجهةِ.

مَسْعُود: قد قُلْتُ لكِ إنَّ قوتَكِ تكمنُ في حُبِّكِ لسَيْف، وإنَّكِ تُريدينَ أن تحمِيهِ، فذلكَ سيُعطيكِ قوَّةً أكبرَ وعزيمةً للمواجهةِ.

سَيْف: أَتَقْصِدِينَ أنَّهُ لولا أنَّكِ رأَيْتِني أموتُ لما تَحرَّكْتِ؟ أكانَ عَلَيَّ الموتُ حتى تُحركِي ساكنًا؟! هههههه.

هِبَة: بعدَ الشرِّ عليكَ يا سَيْف، لا تقُلْ ذلكَ. فعمُّ مَسْعُود أَيْقَظَ ما بداخلي بكلماتِهِ فقط، ودونَ ذلكَ كنتُ...

سَيْف: لا تُكْمِلِي. أنا أَخْشَى عليكِ كثيرًا، ولكنِّي سأسعى جاهدًا لإسعادِكِ.

هِبَة: لا تُحاولْ إسعادِي، كُنْ شيئًا لا يُؤْذِيني فقط.

سَيْف: أَتَقْبَلِين بي زَوْجًا يا هِبَة؟

سَكَتَتْ هِبَةُ خَجَلاً وفَرَحَةً، وأَحْمَرَّ وجهُها مرَّةً أُخرى، ولكنَّ سَيْف قالَ لوالدتِها إنَّهُ يَطلُبُ يَدَها للزواجِ. فَفَرِحَ الجميعُ سُرورًا، وصَفَّقُوا لذلكَ، وعَلِي قامَ بِعَمَلِ صافِرةٍ بيدِهِ وفَمِهِ وهو يضحكُ، وقالَ سَيْفٌ:

سَيْف: الآنَ، اطْمَأننَّا على هِبَةَ. علينا الإسراعُ الآنَ لتقييدِ ظامِ والرُّجوعِ حتى أعودَ سريعًا لِهِبَةَ.

هِبَة: أينَ أنتَ ذاهبٌ الآنَ يا سَيْف؟

سَيْف: لن أتأخَّرَ يا عَزِيزَتِي، فأنتِ تعلمينَ ما يجبُ علينا القيامُ بهِ سريعًا.

هِبَة: حَسَنًا، لا تَتَأَخَّرْ، وأَذِقْ ذلكَ الشيطانَ شَتَّى الوان العذابِ.

عَلِي: لا، بل سنَشْكُرُهُ على أنَّهُ جَمَعَ بينَنا وجَعَلَنا مُقرَّبينَ، وقرَّبَ بينَكُم للزواجِ. هههههه.

وبِمُناسَبَةِ ذلكَ، اسمعُوا:

عَلِي (يُلقي أبياتًا):

آيَةٌ لديَّ تَحْمِلُ في مَعْنَاها جَمَالاً وفي طَيَّاتِها رَحْمَةً

عَبْدٌ أنا مِسْكِينٌ سلَّمَ قَلْبَهُ دونَ حِكْمَةٍ

الحَكِيمُ مَنْ كانَ يرى ما حَوْلَهُ مِنْ نِقْمَةٍ

عَبْدٌ أنا لم أَرْحَمْ جَسَدِي ولا روحي بوَفْرَةٍ

الرَّحِيمُ مَن تَرَكَ لنَفْسِهِ مَنْفَذًا لِلْبَصِيرَةِ والرَّحْمَةِ

على أيِّ شيءٍ أَلُومُ نَفْسِي الآنَ، وأنا المَلامُ وليستِ المُهْرَة

فأنا مَن أحببتُ وتعلَّقتُ فَنَسِيتُ مَهْالِكَ العِظْمَةِ

لم أستحقَّ ذلكَ منكِ، ولم أَلْقَ سوى الضربِ بالجَزْمَةِ

أَتَغاضَى من أجلِ مَحبُوبِي أم أَجِدَ قَبْرًا للمَرَدَةِ؟

سأنتظرُ ولو بعدَ حينٍ رُجُوعَ ما كانَ من فَتْرَة

لديَّ يقينٌ أنَّ هذا حُلْمٌ سيِّئٌ للفَجَرَةِ

قد أحببتُ عذابَ قُرْبِكِ، أمَّا هُجْرَانُكِ مرفوضٌ بالفِطْرَةِ.

هبة: مَاذَا تَقْصِدُ يَا عَلِي؟ أَتَقْصِدُ أَنَّنِي رجْمَةٌ وَعَذَابٌ لِقَلْبِهِ؟

مَسْعُود: أَرَأَيْتَ يَا أَحْمَقُ؟ الآنَ سَتُشْعِلُ النَّارَ بَيْنَهُمْ، وَلَنْ يَتِمَّ الزَّوَاجُ.

هبة: لَا طَبْعًا، سَأَتَزَوَّجُهُ مَهْمَا قَالَ هَذَا الغَبِيُّ، فَلَا أَسْتَطِيعُ العَيْشَ دُونَهُ.

وَضَحِكَ الجَمِيعُ مَسْرُورِينَ، وَقَبَّلَ سَيْفٌ يَدَ هِبَةَ وجَبينها.

سَيْف: لَنْ أَتَأَخَّرَ عَلَيْكِ يَا عَزِيزَتِي، فَأَنَا أَغَارُ عَلَيْكِ.

أَغَارُ عَلَيْكِ مِنْ نسَمَةِ هَوَاءٍ تُدَاعِبُكِ ثُمَّ تَذْهَبُ عَلَى خَدٍّ آخَرَ، أَغَارُ مِنْ أَحَدٍ يَرَاكِ صُدْفَةً فِي الطَّرِيقِ فَتَخْطَفُهُ ابْتِسَامَتُكِ الَّتِي أَسَرَتْنِي، أَغَارُ مِنْ أَصْدِقَائِكِ الَّذِينَ يُصَافِحُونَكِ عِنْدَ مُقَابَلَتِكِ وَأَنَا أَشْتَاقُ لِسَرِقَةِ نَظْرَةٍ خِلْسَةً، أَغَارُ مِنْ قَطْرَةِ مَطَرٍ تَتَسَاقَطُ عَلَى جَبِينِكِ وَتَتَدَحْرَجُ تَدْرِيجِيًّا عَلَى وَجْهِكِ وَأَنَا أَشْتَاقُ لِمَلَامَسَةِ وَجْهِكِ، أَغَارُ عَلَيْكِ مِنْكِ. هَلْ مِنْ شَيْءٍ آخَرَ؟

وَضَحِكَ الجَمِيعُ، وَخَجِلَتْ هِبَةُ كَثِيرًا مِنْ كَلَامِهِ، حَتَّى وَضَعَتْ يَدَيْهَا عَلَى وَجْهِهَا وَنَظَرَتْ بَعِيدًا عَنِ الجَمِيعِ وَهِيَ مُبْتَسِمَةٌ.

وَتَرَكَهَا سَيْفٌ هِيَ وَأُمُّهَا فِي المُسْتَشْفَى، وَانْطَلَقَ بِرِفْقَةِ عَلِيٍّ وَمَسْعُودٍ فِي ظَلَامِ اللَّيْلِ مُتَّجِهِينَ إِلَى وَادِي سِنُّورَ نَحْوَ الكَهْفِ الَّذِي يَقْطُنُ بِهِ ظَامُ.

***

خَرَجَ مُنْتَصِرٌ مِنَ القَبْرِ تَارِكًا سَيْف وَهِبَةَ وَمَسْعُود وَعَلِيّ وَحْدَهُمْ فِي مُوَاجَهَةِ المَوْتِ مِنْ سُهْدَانَ اللَّعِينِ، وَهَرَبَ مُسْرِعًا مِثْلَ الجَبَانِ المُرْتَعِدِ خَوْفًا مِنَ المَوْتِ. وَلَكِنَّهُ سَقَطَ أَمَامَ قَدَمِ حَارِسِ المَقَابِرِ، مُتَصَنِّعًا التَّعَبَ وَالذُّعْرَ وَالخَوْفَ، صَارِخًا: "أَنْقِذْ مَنْ هُمْ بِالقَبْرِ!" وَهُوَ يُفَكِّرُ أَنَّهُ قَدْ تَرَكَهُمْ أَرْبَعَةً، وَعِنْدَ دُخُولِ الحَارِسِ يُصْبِحُ عَدَدُهُمْ خَمْسَةً مَرَّةً أُخْرَى. فَإِنْ مَاتُوا مَاتُوا جَمِيعًا، وَإِنْ عَاشُوا عَاشُوا جَمِيعًا دُونَ أَنْ يَطُولَهُ أَذًى.

وَتَرَكَهُ الحَارِسُ بَعْدَمَا سَمِعَ مِنْهُ تِلْكَ الكَلِمَاتِ بِحُسْنِ نِيَّةٍ وَطِيبَةِ قَلْبٍ، وَدَخَلَ إِلَى ذَلِكَ القَبْرِ المُفْزِعِ الَّذِي اشْتَعَلَتْ بِهِ النِّيرَانُ حَتَّى يُنْقِذَ هَؤُلَاءِ النَّاسَ الَّذِينَ وَصَفَهُمْ مُنْتَصِرٌ. وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ مَا سَيُوَاجِهُهُ مِنْ رُعْبٍ وَمَوْتٍ مَحْتُومٍ.

إِذْ قَابَلَهُ سُهْدَانُ بِالمَوْتِ مِنْ ضَرْبَةٍ وَاحِدَةٍ، لَمْ يَعْقبْهَا سِوَى سُقُوطِ رَأْسِ الرَّجُلِ المَسْكِينِ. وَسَقَطَ جَسَدُهُ مَيِّتًا بِدُونِ رَأْسٍ دَاخِلَ القَبْرِ.

وَتَوَارَى مُنْتَصِرٌ عَنِ الأَنْظَارِ حَتَّى هَبَطَ اللَّيْلُ لِيَرَى: أَسَيَنْجُونَ أَمْ يَمُوتُونَ كَمَا هُوَ مُتَوَقَّعٌ؟ حَتَّى وَجَدَ سَيْف يَخْرُجُ مُسْرِعًا حَامِلاً هِبَةَ

عَلَى يَدَيْهِ، وَمِنْ خَلْفِهِ مَسْعُودٌ وَابْنُهُ عَلِيٌّ. وَكَانَتْ هِبَةُ مُغْشِيًا عَلَيْهَا، فَعَلِمَ أَنَّهُمْ سَيَذْهَبُونَ بها إِلَى المُسْتَشْفَى لِإِنْقَاذِهَا.

فَتَحَرَّكَ مُنْتَصِرٌ تَارِكًا مَكَانَهُ فِي المَقَابِرِ مُخْتَبِئًا، وَخَرَجَ مِنْهَا مُسْرِعًا.

***

أَمَامَ مَحَلٍّ لِبَيْعِ الحَيَوَانَاتِ الأَلِيفَةِ منها وَالمُفْتَرِسَةِ، يَظْهَرُ عَلَيْهِ الرُّقِيُّ وَالحَدَاثَةُ، وَبِهِ بَاحَةٌ وَاسِعَةٌ لِتَدْرِيبِ وَتَرْوِيضِ الحَيَوَانَاتِ المُفْتَرِسَةِ مِثْلَ الأُسُودِ وَالنُّمُورِ وَالذِّئَابِ وَالكِلَابِ المُهَجَّنَةِ. وَبِهِ الكَثِيرُ مِنَ الأَقْفَاصِ الَّتِي تَحْتَوِي عَلَى حَيَوَانات ، وَأَحْوَاضِ سَمَكٍ وَغَيْرِهَا، وَأَقْفَاصٍ حَدِيدِيَّةٍ ثَقِيلَةٍ لِتَتَحَمَّلَ تِلْكَ الكَائِنَاتِ الضَّارِيَةِ الَّتِي غَيْرُ مَسْمُوحٍ بِهَا فِي مِثْلِ تِلْكَ الأَمَاكِنِ.

دَخَلَ مُنْتَصِرٌ، وَكَانَتِ السَّاعَةُ التَّاسِعَة لَيْلاً، حَتَّى صَاحَ:

مُنْتَصِر: أَنْتَ يَا زِفْتُ، يَا شَادِي!

شَادِي شَابٌّ فِي مُقْتَبَلِ العُمْرِ، فِي العَقْدِ الثَّالِثِ مِنْ عُمْرِهِ، مَا بَيْنَ ثَلَاثَةٍ وَثَلَاثِينَ عَامًا وَخَمْسَةٍ وَثَلَاثِينَ. طَوِيلُ القَامَةِ، وَسِيمُ المَلَامِحِ، أَصْفَرُ الشَّعْرِ، مُخْضَرُّ العَيْنَيْنِ، يَظْهَرُ عَلَيْهِ القُوَّةُ البَدَنِيَّةُ.

شَادِي: أَجَلْ يَا سَيِّدِي، نَعَمْ؟

مُنْتَصِر: أُنَادِي عَلَيْكَ! أَيْنَ أَنْتَ يَا لَعِينُ؟

شَادِي: هَا هُنَا أَنَا يَا فَنْدِم، مَاذَا هُنَالِكَ؟ بِمَ تَأْمُرُنِي؟

مُنْتَصِر: أَيْنَ ذَلِكَ الذِّئْبُ الَّذِي أَمَرْتُكَ بِتَدْرِيبِهِ لِي؟

شَادِي: تَقْصِدُ إِسْكَار؟

مُنْتَصِر: لَا وَقْتَ لِلْأَلْقَابِ يَا غَبِيُّ الآنَ! أَحْضِرْ لِي ذَلِكَ اللَّعِينَ حَالاً.

شَادِي: يَا فَنْدِم، الذِّئْبُ لَا يُحِبُّ أَنْ يُوقِظَهُ أَحَدٌ مِنَ النَّوْمِ. تَعَالَ غَدًا، خُذْهُ كَمَا تُرِيدُ وَكَيْفَمَا تُحِبُّ.

مُنْتَصِر: قُلْتُ لَكَ: لَا وَقْتَ لِتِلْكَ الأَلْعَابِ! أَحْضِرْهُ الآنَ، وَإِلَّا قَتَلْتُكَ أَوْ أَغْلَقْتُ هَذَا المَكَانَ. وَكَمَا تَسَتَّرْتُ عَلَيْكَ، يُمْكِنُنِي أَنْ أُغْلِقَهُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ وَإِشَارَةِ إِصْبَعٍ مِنِّي. فَهُوَ بِدُونِ تَرَاخِيصَ قَانُونِيَّةٍ، وَلَوْ عَلِمَ أَحَدٌ بِشَأْنِ تِلْكَ الحَيَوَانَاتِ، سَيُقْبَضُ عَلَيْكَ وَتُحَاكَمُ أَنْتَ.

وَأَخْرَجَ مُنْتَصِرٌ مَسْدَسَهُ، مُوَجِّهًا إِيَّاه إِلَى رَأْسِ الفَتَى فِي غَضَبٍ. فَفَزِعَ الفَتَى مِنْ فُوَّهَةِ المَسْدَسِ الَّتِي أَصْبَحَتْ نُصْبَ عَيْنَيْهِ، وَتَرَاجَعَ خُطْوَةً لِلْوَرَاءِ، لِأَنَّهُ يَعْلَمُ جَيِّدًا أَنَّ ذَلِكَ الضَّابِطَ مُخْتَلٌّ عَقْلِيًّا، وَلَنْ يَتَرَدَّدَ لحظَة فِي سَحب الزِناد ويُردِيهِ قَتيلاً. وَكَادَ أَنْ يَسْقُطَ مُتَعَثِّرًا فِي أَحَدِ الأَقْفَاصِ الَّتِي تَحْوِي حَيَوَانًا أَلِيفًا، فَأَمْسَكَهُ مُنْتَصِر سَرِيعًا قَبْلَ أَنْ يَسْقُطَ عَلَى ظَهْرِهِ، مُمْسِكًا بِهِ فِي غَضَبٍ، وَأَزَاحَهُ قَائِلاً: "تَحَرَّكْ أَمَامِي الآنَ، وَإِلَّا انفَجَرَتْ رَأْسُكَ فِي الحَالِ!"

مُنْتَصِر: افْعَلْ مَا أَمَرْتُكَ بِهِ مُقَابِلَ تَكَتُّمِي وَسُكُوتِي عَمَّا أَعْرِفُهُ. وَكُلُّ مَا أَحْتَاجُهُ وَأُرِيدُهُ، سَتَفْعَلُهُ لِي بِدُونِ مُقَابِلٍ مَادِّيٍّ، يَا لَعِينُ!

شَادِي: حَسَنًا، حَسَنًا، اهْدَأْ فَقَطْ رجاءًا.

وَأَسْرَعَ شَادِي بِالتَّحَرُّكِ حَتَّى فَتَحَ بَابًا خَلْفَ أَحَدِ الأَقْفَاصِ، حَتَّى يَظْهَرَ خَلْفَهُ سُلَّمٌ يَنْزِلُ لِلْأَسْفَلِ، وَكَأَنَّهُ قَبْوٌ مَا، بَدْرُومٌ أَوْ سِرْدَابٌ تَحْتَ

الأَرْضِ. كَانَتِ الجُدْرَانُ خَرَسَانِيَّةً صَلْبَةً، وَعَرْضُ السُّلَّمِ بَيْنَ الجِدَارَيْنِ مَا يُقَارِبُ المِتْرَ وَنِصْفَ كَحَدٍّ أَقْصَى، لَا ضَيِّقٌ وَلَا وَاسِعٌ ولكنْ لا يتَّسع لِشَخصين معًا.

وَأَشْعَلَ شَادِي الأَنْوَارَ حَتَّى يَرَى مَا الَّذِي أَمَامَهُ، وَيَتَّضِحَ المَشْهَدُ. إِذْ نَزَلَ فِي مَكَانٍ كَأَنَّهُ مُسْتَوْدَعٌ وَاسِعٌ، مَلِيءٌ بِأَقْفَاصِ الحَيَوَانَاتِ المُفْتَرِسَةِ فَقَطْ، كَالأُسُودِ وَالضِّبَاعِ وَالنُّمُورِ وَالأَفَاعِي الضَّخْمَةِ مِثْلَ الأَنَاكُونْدَا وَغَيْرِهَا مِنَ الحَيَوَانَاتِ وَالزَّوَاحِفِ. وَاتَّضَحَ أَنَّهُ يُخْبِئُهَا فِي هَذَا المَكَانِ، لِأَنَّهُ يُدِيرُ هَذَا المَكَانَ بِدُونِ تَصَارِيحَ قَانُونِيَّةٍ، وَيَبِيعُ تِلْكَ الحَيَوَانَاتِ إِلَى العَائِلَاتِ الغَنِيَّةِ الَّتِي تُحِبُّ أَنْ تَقْتَنِيَ مثل تلك الكائنات أو العلماء أو تُجَّار الحيواناتِ التي مِن غَيْرِ القانونيِّ بيعُها أو شراؤُها أو حتى اقتناؤُها.

ونزل مُنتَصِرٌ حيثُ وجد نفسَه مُحاطًا بالكثيرِ من الحيواناتِ في أقفاصٍ على شكلِ صفوفٍ وأعمدةٍ وكأنها جُدرانٌ من الأقفاصِ تحوي حيواناتٍ خطيرةً. تقدم شادي حتى وقف أمامَ قفصٍ به ذئبٌ ضخمٌ له أثرٌ لجرحٍ بعينِه، وهذا سببُ تسميتِه بـ"إسكار". يظهرُ عليهِ القوةُ والهيبةُ في مشهدٍ فخمٍ حيثُ ظهرتْ عضلاتُ قدميهِ وجسدهِ وكأنه لاعبُ كمالِ أجسامٍ وليس حيوانًا.

فتح شادي القفصَ وقال له: "تعالَ يا إسكار"، ليقفزَ الذئبُ أمامَ منتصرٍ مُتأهِّبًا للانقضاضِ عليه، ولكن أسرعَ شادي بقَولِ: "اهدأْ، فهذا سيدُكَ الجديدُ، اجلسْ"، فجلسَ الذئبُ في هدوءٍ تامٍ وكأنه جروٌ أليفٌ لطيفٌ موجهًا عَينَيه ونظرَه الحادَ صَوبَ منتصر.

منتصر: "هل هذا هو الذئبُ اللعينُ؟"

شادي: "لا يا باشا، إياكَ وقولُ هذا، فهو حيوانٌ ولكنهُ يحترمُ من يحترمهُ ويشعرُ وكأنه إنسانٌ. الذئبُ حيوانٌ ذو سلطةٍ وهيبةٍ ووقارٍ، فلا تُحَقِّرْ من شأنهِ."

منتصر: "حسنًا حسنًا، هيا بنا الآن."

شادي: "لا، عليكَ الانتظارُ حتى أُعلِّمكَ كيفَ تُنادِي عليهِ وتطلبُ منهُ ما تريدُ حتى لا تُخطِئَ في شيءٍ فيقتلكَ بأحدِ مخالبهِ دونَ أن تشعرَ."

منتصر: "وكيفَ هذا الآن؟ لا وقتَ لكلِّ هذا!"

شادي: "لا تقلق."

وتقدمَ شادي بضعَ خُطواتٍ حتى فتحَ بابًا آخرَ وخرجَ ومعهُ إسكار، وتبعهم منتصرٌ حتى وجدَ نفسَه في تلكَ الباحةِ الخلفيةِ التي يُدرِّبُ بها الحيواناتُ. كانت الأرضُ خضراءَ مكسوةً بعشبٍ أخضرَ قصيرٍ من النَجيلَةِ وبعضِ الأشجارِ والنخيلِ، وبها بعضُ الحواجزِ وأشياءُ تُستخدمُ في تدريبِ الحيواناتِ.

أخذَ شادي يُعلِّمُ منتصر ويُدرِّبُه على كيفيةِ التعاملِ مع إسكار حتى ألفَ إسكارُ منتصر واعتادَ منتصرٌ على احترامِ وألفةِ إسكار.

خرجَ الثلاثةُ من البابِ الأماميِّ للمحلِّ، ووضعَ منتصرٌ سلسلةً حولَ رقبةِ الذئبِ حتى يُمسك به.

شادي: انتظر، عليكَ إزالةُ تلكَ السلسلةِ عن رقبتِه. كما قلتُ لك، هو يُحِبُّ أن يكونَ حرًّا، لا يجبُ أن تضعَ حولَ رقبتِه سلسلةً فتُقيِّدَ حركتَهُ فيغضبَ منك. احترمْه يكنْ طَوْعًا ورهنَ إشارتِكَ، لا تقلقْ.

منتصر: حسنًا يا شادي حسنًا، وتُخبرني بكلِّ هذا وكأنني طفلٌ صغيرٌ يا أحمقُ.

شادي: عفوًا يا منتصر باشا، ولكنْ وجبَ التحذيرُ ولَفْتُ انتباهِكَ لا أكثرَ.

تركهُ منتصرٌ وخرجَ ومعهُ الذئبُ يمشي بجانبه، ونظرَ إلى السماءِ وهو يرى القمرَ الذي يشعُّ نورُه وهو مكتملٌ الآن.

ركبَ منتصرٌ والذئبُ إسكار في سيارةِ شادي وانطلقَ مُسرعًا إلى المستشفى التي بها هبةُ والآخرون، وأخذَ سيارةَ شادي حتى لا يتعقَّبَه أحدٌ وهو خارجٌ أيضًا.

وقفَ بالسيارةِ أمامَ المستشفى في الساعةِ الحاديةِ عشرةِ والنصفِ قبلَ منتصفِ الليلِ، وتركَ الذئبَ في السيارةِ حتى لا يراهُ أحدٌ.

***

سيف: هَيَّا بِنَا يَا عَلِي، عَلَيْنَا الذَّهَابُ الآنَ.

عَلِي: حَسَنًا، هَيَّا بِنَا يَا أَبِي حَتَّى نَعُودَ سَرِيعًا وَنَفْرَحَ بِزَوَاجِ تِلْكَ الْعَصَافِيرِ الْمُغَرِّدَةِ.

وَضَحِكَ الْجَمِيعُ فِي سُرُورٍ، وَفَتَحَ مَسْعُود بَابَ الْغُرْفَةِ حَتَّى يَخْرُجُوا جَمِيعًا، وَلَكِنْ كَانَ يَقِفُ أَمَامَ الْبَابِ مُنْتَصِر رَافِعًا يَدَهُ لِيَطْرُقَ الْبَابَ.

فَوَقَفَ الْجَمِيعُ فِي ذُهُولٍ صَامِتِينَ، وَلَكِنَّ قَطَعَ هَذَا الصَّمْتَ مَسْعُودٌ وَهُوَ يَبْصُقُ عَلَى وَجْهِ مُنْتَصِرٍ وَيَقُولُ:

مَسْعُود: مَا الَّذِي أَتَى بِكَ يَا جَبَانُ؟! اذْهَبْ مِنْ هُنَا، وَإِلَّا قَتَلْتُكَ مِثْلَ الْخَنَازِيرِ!

وَأَمْسَكَ عَلِيٌّ بِرَقَبَةِ مُنْتَصِرٍ وَهُوَ غَاضِبٌ:

عَلِي: تَرَكْتَنَا نَمُوتُ عَلَى يَدِ شَيْطَانٍ مَلْعُونٍ، أَنْتَ وَهُوَ سَوَاءٌ فِي الْجَحِيمِ!

وَلَكِنْ بَاغَتَهُ مُنْتَصِرٌ بِلَكْمَةٍ عَلَى وَجْهِهِ أَسْقَطَتْهُ أَرْضًا وَيَقُولُ:

مُنْتَصِر: حَسَنًا، حَسَنًا، انْتَظِرُوا قَلِيلًا. لَكُمْ الْحَقُّ فِي كُلِّ شَيْءٍ تَقُولُونَهُ وَتَفْعَلُونَهُ. أَنَا حَقًّا أَحْمَقٌ وَجَبَانٌ وَوَغْدٌ وَسَافِلٌ، وَكُلُّ هَذَا وَأَكْثَرُ، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ الانْتِظَارُ قَلِيلًا.

مَسْعُود: لِمَ عَلَيْنَا أَنْ نَسْتَمِعَ إِلَيْكَ وَنَحْنُ لَا نُرِيدُ مِنْكَ شَيْئًا، وَخَاصَّةً مِنْ شَخْصٍ جَبَانٍ يَهَابُ الْمَوْتَ مِثْلَ أَصْغَرِ الْفَتَيَاتِ.

مُنْتَصِر: لِأَنِّي سَآتِي مَعَكُمْ هَذِهِ الْمَرَّةَ وَلَنْ أَهْرُبَ. حَقًّا، قَدْ هَرَبْتُ كَثِيرًا، وَلَكِنْ أَعِدُكُمْ، هَذِهِ الْمَرَّةَ لَنْ أَفْعَلَ مَا فَعَلْتُ. أَعْطُونِي فُرْصَةً أَخِيرَةً.

عَلِي: لَا نُرِيدُكَ وَلَا نُرِيدُ شَيْئًا مِنْكَ. انْقَلِعْ مِنْ هُنَا!

مُنْتَصِر: قَدْ أَتَيْتُ وَمَعِي سِلَاحٌ سِرِّيٌّ.

عَلِي: هَلْ تَظُنُّ أَنَّنَا لَنْ نَسْتَطِيعَ مُوَاجَهَةَ الشَّيْطَانِ بِدُونِكَ؟ أَمْ تَظُنُّ أَنَّ أَبِي قَدْ نَسِيَ شَيْئًا وَلَمْ يُحْضِرْ كُلَّ مَا نَحْتَاجُهُ لِمُحَارَبَةِ ذَلِكَ الشَّيْطَانِ الَّذِي هُوَ وَلِيُّكَ وَأَنْتَ أَحَدُ أَبْنَائِهِ؟

مُنْتَصِر: لَا، لَمْ أَقُلْ ذَلِكَ، وَلَكِنِّي أَحْضَرْتُ مَنْ سَيُسَاعِدُنَا بِشِدَّةٍ وَيَجْعَلُ لَنَا النَّصِيبَ الْأَكْبَرَ مِنَ الْفَوْزِ عَلَيْهِ وَعَلَى أَعْوَانِهِ وَخُدَّامِهِ.

سيف: حَسَنًا، يَا مُنْتَصِر، مَا هَذَا السِّلَاحُ الَّذِي تَتَحَدَّثُ عَنْهُ؟

مُنْتَصِر: أَحْضَرْتُ مَعِي "سَيِّد".

عَلِي: وَمَنْ هُوَ "سَيِّد" هَذَا أَيْضًا؟ لَا بُدَّ أَنَّهُ شَخْصٌ جَبَانٌ مِثْلَكَ تُرِيدُ أَنْ تَجْلِبَهُ مَعَكَ فَيَمُوتَ بَدَلًا عَنْكَ.

مُنْتَصِر: "سَيِّد" لَيْسَ إِنْسَانًا.

سيف: إِذًا، مَا هُوَ؟ أَخْبِرْنَا وَأَجِبْ عَلَى سُؤَالِ عَلِي.

مُنْتَصِر: "سَيِّد" هَذَا يَكُونُ ذِئْبًا، يَا دُكْتُور. أَلَا تَعْلَمُ أَنَّ الذِّئْبَ اسْمُهُ "سَيِّد"؟

اسْمُ "سَيِّد" يُطْلَقُ عَلَى الذِّئْبِ الْقَوِيِّ الْحَكِيمِ الَّذِي يَقُودُ وَيَسُودُ الْقَبِيلَةَ. يَا دُكْتُور، أَنْتَ وَلَا تَعْلَمُ مِثْلَ تِلْكَ الْمَعْلُومَةِ الْبَسِيطَةِ؟!

عَلِي: هههههههه، وَفِيمَا يُفِيدُنَا هَذَا الذِّئْبُ؟!

مُنْتَصِر: أَلَمْ يُخْبِرْكَ أَبُوكَ أَنَّ الذِّئْبَ هُوَ الْكَائِنُ الْأَقْوَى وَلَيْسَ الْأَسَدَ؟ وَأَنَّهُ الْحَيَوَانُ الَّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرَى الْجِنَّ وَالشَّيَاطِينَ وَيُمْكِنُهُ

قَتْلُهُمْ، وَأَنْ يَأْكُلَهُمْ أَيْضًا؟ أَلَمْ يَقُلْ لَكَ أَبُوكَ أَنَّ الْجِنَّ يَخَافُونَ مِنَ الذِّئْبِ وَيَهْرُبُونَ مِنْهُ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَخُصُّهُ؟ وَأَنَّهُ يُصْنَعُ مِنْ جِلْدِ الذِّئْبِ سَوْطٌ أَوْ كُرْبَاجٌ يُعَذَّبُ بِهِ الجِنَّ وَيُضْرَبُ بِهِ المَمْسُوسَ حَتَّى يَخْرُجَ مِنهُ الجِنُّ المُتَلَبِّسُ بِهِ، وَأَنَّ ضَرْبَةً وَاحِدَةً قَوِيَّةً كَفِيلَةٌ أَنْ تَقْتُلَ عَشَرَاتٍ مِنَ الجِنِّ ، وَدِمَاؤُهُ بِمَثَابَةِ سُمٍّ لَهُمْ، وَأَنْيَابُهُ خَنَاجِرُ قَاتِلَةٌ إِذَا تَجَرَّأَ أَحَدُهُمْ وَاقْتَرَبَ مِنْكَ مِنَ الأَساس.

نَظَرَ سِيفٌ وَعَلِيٌّ فِي ذهول مِمَّا يَقُولُ إِلَى مَسْعُودٍ، وَلَكِنْ أَمَاءَ مَسْعُود بِرَأْسِهِ مُوَافِقًا عَلَى كَلَامِ مُنْتَصِر وَمُؤَكِّدًا لَهُ.

مُنْتَصِرٌ: خُذُوا، ارْتَدُوا هَذَا فَقَدْ أَحْضَرْتُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنَا نَابَ ذِئْبٍ حَتَّى يُعْلِقَهُ فِي رَقَبَتِهِ كَالتَّمِيمَةِ.

وَأَعْطَى مُنْتَصِرٌ الكُلَّ بِمَا فِيهِمْ هبَةَ وَأُمَّهَا كَذَلِكَ.

هبَةٌ: لَا تَتَأَخَّرْ يَا سِيفُ أوعِدْنِي بِالْرُّجُوعِ وَلَا تَمُتْ الْآنَ وَتَتْرُكَنِي.

سيف: لَا تَقْلَقِي يَا حَبِيبَتِي لَنْ يَقْتُلَنِي أَحَدٌ وَسَأَعُودُ.

هَبَةٌ: عِدْنِي.

سِيفٌ: يَا هَبَةُ أَعِدُكِ بِالْرُّجُوعِ لَكِ.

صِدْقًا أَحْبَبْنَاكُمْ فَلَا تَكُونِينَ مِنَ القَاسِيَاتِ قُلُوبُهُنَّ.

كُونِي آيَةَ اللَّهِ لِي فِي الْأَرْضِ، كُونِي "وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا" كُونِي مِنْ نَفْسِي الَّتِي أَحَبَّتْكِ حُبًّا جَمًّا.

حَتَّى تَكُونِينَ لَنَا آيَتَهُ سُبْحَانَهُ "أُسْكُنْ أَنْتِ وَزَوْجُك الْجَنَّةَ".

كُونِي آيَةَ خَيْرٍ وَنَعِيمٍ وَلَا تَكُونِينَ آيَةَ عَذَابٍ أَلِيمٍ.

وَتَرَكَهَا وَهُوَ يَنظُرُ فِي عَيْنَيْهَا وَهِيَ تَذْرِفُ الدمُوعَ عَلَى وَجَنَتَيْهَا الْبَيْضَاوَتَيْنِ بَعْدَ أَنْ أَحْمَرَ وَجْهُهَا مِنَ الْبُكاءِ وَخَرَجُوا جَمِيعًا مَرَّةً أُخْرَى مِنْ بَابِ الْغُرْفَةِ فِي إِسْتِعْدَادٍ تَامٍّ وَقُوَّةٍ وَعَزِيمَةٍ لَمْ يَسْبِقْ لِأَحَدٍ مِّنْهُمْ أَنْ شَعَرَ بِهَا هَكَذَا مِنْ قَبْلُ.

وَصَعِدَ مُنْتَصِرٌ السَّيَّارَةَ مَعَ إِسْكَار وَصَعدَ الثَّلَاثَةُ الْبَاقُونَ فِي السَّيَّارَةِ الْأُخْرَى مُنْطَلِقِينَ لِلْقَضَاءِ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ يَقِفُ أَمَامَهُمْ فِي سَبِيلِ تَقْيِيدِ ظَامٍ وَإِنِ اسْتَطَاعُوا قَتْلَهُ لَقَتَلُوهُ.

وَصَلَ الرِّفَاقُ إِلَى وجْهَتِهِمْ فِي تَمَامِ السَّاعَةِ السَّابِعَةِ صَبَاحًا وَدَخَلُوا وَادِي سِنُورِ الْمَوْجُودِ فِي مُحَافَظَةِ بَنِي سُوَيْفِ. هَذِهِ الْمَحْمِيَّةُ هِيَ فَرِيدَةٌ مِنْ نَوْعِهَا عَلَى مُسْتَوَى الْعَالَمِ لِأَنَّهَا عبَارَةٌ عَنْ كَهْفٍ مُذْهِلٍ يَمْتَدُّ بِمَسَافَةِ سَبْعِمِئَةِ مِتْرٍ فِي بَاطِنِ الْأَرْضِ وَيَصِلُ عُمْقُهُ إِلَى خَمْسَ عَشَرَ مِتْرًا. أَمَّا إِتْسَاعُهُ فَيَبْلُغُ حَوَالَيَ خَمْسَ عَشَرَ مِتْرًا تَقْرِيبًا.

سَاروا علىَ أقدامِهِم، وهُم ينظرونَ من حولِهِم، ويرَون الجمالَ في ذلكَ الوادي، وما بهِ من حيواناتٍ وكهوفٍ جميلةٍ. فهو محميةٌ طبيعيةٌ ذات جمالٍ خلابٍ، وما زادَ من جمالِ الوادي شُروقُ الشمسِ وهي تصعدُ إلى السماءِ، وصَفاءُ السماءِ الزرقاءِ فوقَ هذا المكانِ شيءٌ لم يَروهُ من قبل.

وكانوا يَسيرون جميعًا بجانبِ بعضِهِم البعض، وخلفَهم "إسكار". ولكن، انتقلَ "مسعود" إلى الجانبِ الآخرِ من الطريقِ على يمينِ الرفاقِ، حتى أصبحَ هو أولَهُم من اليمينِ وقال:

مسعود: الكهفُ المقصودُ على هذا الجانبِ، فقد اقتربنا منهُ كثيرًا الآن، ولا مَجالَ للخوفِ والرُّجوع.

سيف: سنستطيعُ تقييدَه، لا تقلقوا.

مسعود: مُستعدُّون لهُ جيدًا، فلا تَجعلوا لهُ سبيلاً من خوفِكم.

توقَّفَ "مسعود" أمامَ أحدِ الكهوفِ وقال: هذا هو.

كان الكهفُ قديمًا جدًّا، حيثُ بلغَ عُمرُه سبعةً وأربعينَ مليونَ سنة. شكلهُ غريبٌ عن باقيهِم، كان منفردًا لوحدهِ بعيدًا عن باقي الكهوفِ. لهُ هيبةٌ ومنظرٌ مُرعبٌ، حيثُ بدا شكلُه من الخارجِ وكأنَّهُ فَمُ جُمجمةٍ صارخةٍ، وأشعةُ الشمسِ الساقطةُ على فتحتينِ أعلى المَدخلِ وكأنَّهُما عَينانِ تُوحيانِ بأنَّهُما نارٌ حمراء.

أما من الداخلِ، فكان يغلبُ عليه اللونُ الأحمرُ والأسودُ، وهذا ما أعطاهُ شكلاً أغربَ وأكثرَ فزعًا. وكانت تتدلَّى من سقفِهِ هوابطُ، وتصعدُ من أرضِهِ صواعدُ، وكأنَّها أسنانٌ حادةٌ مُدبَّبةٌ لتلكَ الجُمجمة. وكانت الأرضُ تنحدرُ إلى أسفلَ من الداخلِ، مما أوحَى أكثرَ وأكثرَ بأنَّهُ بلعومٌ، وكأنَّ ذلك الكهفَ يبتلعُ من يدخلُ إليهِ حقًّا.

وهبطوا جميعًا داخلَ الكهفِ، وعند وصولِهِم إلى القاعِ، أصدرَ "إسكار" صوتَ عواءٍ عالٍ، وكشَّرَ عن أنيابِهِ متحفزًا لشيءٍ يُريدُ

الانقضاضَ عليه، فعلموا جميعًا أنَّ "ظام" في هذا المكانِ وسيتشكَّلُ الآن.

مسعود: أعوذُ بكلماتِ اللهِ التاماتِ من شرِّ ما خلق. بسمِ اللهِ الذي لا يضرُّ مع اسمِهِ شيءٌ في الأرضِ ولا في السماءِ، وهو السميعُ العليم.

حتى اشتعلتِ النارُ من حولِهِم، وظهرَ كائنٌ قصيرُ القَامةِ، قزمُ الجسدِ، أسودُ اللونِ والجِلدِ، يداهُ مخالبُ، وقدماهُ حوافرُ. لهُ جَناحانِ حادَّانِ مثل السَيفِ، وكأنَّهُما جناحا خفاشٍ. فمُهُ ممتلئٌ بالأسنانِ الحادةِ المُدبَّبةِ، وعيناهُ كانتا سوادًا حالكًا يتوسطُهما نقطةٌ حمراءُ تزدادُ بازديادِ غضبِهِ.

هل تذكَّرتم من هو ذلكَ المخلوقُ؟ أجل، إنَّهُ "رَهسان"، ذلكَ القزمُ القويُّ.

لماذا حَضر الآن وفي هذا المكان خاصةً؟

منتصر: هل هذا هو "ظام" الذي أتينا لقتله؟! هههههههههه (يضحك بسخرية).

مسعود: اخرس يا غبي! إن هذا "رَهسان" وليس "ظام".

منتصر: ألا تَرىَ شكله وحجمه؟

مسعود: ذلك القزم يستطيع قتلك قبل أن تأخذ نَفَسك الأخير، فعليك بالصمت وإلا قتلنا جميعًا الآن.

سيف: ومَن ذلك يا عم مَسعود؟ ولماذا ظَهر لنا هنا الآن؟

مسعود: إنه أحد المَردة من عشيرة "البهاطل التِسع". إنه من المَردة الأقوياء في عشيرته، بل أقواهم. هذا القزم الذي لا يُعجبَكُم ويُثير ضحك ذلك الأحمق، هو قائد الجيش.

يعرف عنه القوة والشجاعة، وأنه لا يهاب أحدًا. يحترم الصفقات والعهود، ولكِّنَه يَبطش بمن يُخالف عهده معه، حتى من الجان والمردة مثله. وكل ما يهمه هو أن يحصل على القوة والسيطرة على عرش العشيرة.

قصره ضخم من الذهب وعظام الأعداء الذين فَتَك بهم "رهسان"، ويُزيِن جدران قصره بالجماجم.

ولا بُد أنه قد أتى لإتمام صفقة ما.

نطق "رهسان" ضَاحكًا قبل أن يتكلم "مسعود"، وقال:

رهسان: علمت كل هذا عني يا بشري، ولم يَرتَجف لك جفن وأنت أمامي!

مسعود: لماذا أتيت هنا يا "رهسان"؟ ومن الذي استدعاك؟

رهسان: "سهدان" هو من استدعاني... قبل أن يُقتَل الأحمق! هههههههههه (يضحك بسخرية).

***

فلاش باك...

سهدان: أريد أن أحرر سيدي "ظام"، ولك ما تُريد، أَطلب منك المساعدة.

رهسان: ولكن الجميع يعلم أن "ظام" مُقَيَّد بطلسم مُحرَّم يَحرق كل من يحاول الاقتراب لفك القيود، لا يستطيع أحد أن يفك قَيده سوى أحد من البشر.

سهدان: وجدت طلسمًا مضادًا وطقوسًا لفك القَيد، ولكن هناك بشري يمنعني من ذلك.

رهسان: أتستهزئ بي الآن؟

سهدان: لا يا سيدي، وإنما ذلك البشري، كلما فعلت الطقوس يأتي ويسلبني قوتي، والآن يدبر لقتلي، ولكنني لا أستطيع العثور عليه لأنه قام بتحصين نفسه وإخفاء نفسه من أنظار الجن. ولكن أنت قوي عن ذلك. أنا أعلم مكان بَيته، أريد مساعدتك في أن تتجاوز الحِصن خاصته وتقتله فقط. وأنا سأفعل ما يلزم لتحرير سيدي "ظام" في ليلة القمر الدموي، وسأذكر مساعدتك لي وله ومطلبك من الصفقة. فماذا تأمر؟

رهسان: أهذا كل ما تريد مني؟

سهدان: أجل، هذا فقط.

رهسان: حسنًا، ما أريده هو إكسير الحياة الخاص بسيدك "ظام"، الزئبق الأحمر الذي لديه الكثير من القوارير. أريد قارورة من إحداها، فهو يملك الكثير من الزئبق الأحمر.

سهدان: ولكن هذا شيء صعب جدًا أن أقوله لسيدي، لن يوافق على ذلك، فأنت تعلم قيمة الزئبق الأحمر.

رهسان: هذا طلبي من الصفقة. اذهب الآن وأخبر سيدك، أيريد أن يتحرر أم لا مقابل قارورة من قواريره.

انصرف الآن ولا تزعجني مرة أخرى.

سهدان: سأفعل ما يلزم لأتي لك بإحدى تلك القوارير يا سيدي "رهسان".

وانصرف "سهدان" من أمام "رهسان" حتى يذهب ويخبر سيده بأحدث المستجدات.

ولكن قبل انصراف "سهدان"...

إلتفت سهدان مرةً أخرى إلى رهسان وقال:

سهدان: هل لي يا سيدي أن أطلب منك طلبًا خاصًّا؟

رهسان: ما هو؟

سهدان: يُمكنك أن تَحمي كهف سيدي "ظام" حتى أنتهي من البشريين وتُنقِذه منهم في حالة عدم موافقته على طلبك من القوارير أو عدم عودتي إليك برد سيدي "ظام"، ففي تلك الحالة سأكون قد

قُتِلت، فأنا أشعر بقرب أجلي الآن. وعَلاوةٌ علىَ ذلك، فـ"مسعود" الإنسِي يجمع بعضًا من البشر حوله حتى تكون قوتهم أقوى عند اتحادهم واجتماعهم مع بعضهم البعض.

رهسان: هههههههههه يا غبي، فأنا لم أوافق على قتل بشري حتى تعطيني قارورة من الزئبق، وتريد مني أن أوافق على طلب سخيف مثل ذلك وأن أحميه بنفسي بلا مُقابل؟

سهدان: أنا أعلم يا سيدي ذلك، ولكني أعلم أيضًا بأن لك قلبًا طيبًا في بعض الأحيان يَرِق لبَني جنسه، وأنا أستعطِفك سيدي، ففي قتلي شيء من الأسىَ على سيدي "ظام"، فلن يكون بجانبه ولا في صفه أحد آخر. وغير ذلك بالتأكيد، إن قُتلتُ أنا وحرَّرتَ أنت سيدي "ظام" سيجتبيك ويجعلك من المقربين منه، وبالتأكيد سَيُعطيك من الزئبق. وإن أبىَ أن يُهديك منه فستفعل أنت بعد أن تعلم مكان القوارير.

رهسان: يعجبني تفكيرك يا سهدان، ولكني أريد ضمانًا على ذلك.

سهدان: سأخبرك بطلسم التقييد، فإن شَعرتَ منه بغدر أو لم يُعطِك من القوارير، يُمكنك تقييده مرةً أخرى، وبذلك لن تخسر شيئًا، بل على عكس ذلك تتقرب من الملوك العلوية بتقييده مرةً أخرى، لأنهم سيعلمون بتقييدك له ولن يعلموا بأنك من حرَّرته سابقًا. فلن يهمني آنذاك أَمُقيد هو أم لا، لأنني سأكون قد قُتلتُ ولن أكون موجودًا حينها.

رهسان: يا لك من جني ذي ذكاء، حقًا يّعجبني ذلك. أحضر لي طلسم التقييد، ولك مني ذلك.

سهدان: حسنًا إذًا، وقد أتممنا الصفقة الآن، ولكن أولاً لنرى رد سيدي "ظام" على الصفقة الأولى، فإن رفضَ سأأتي لك بالطلسم.

رهسان: اتفقنا يا صديقي هههههههه.

سهدان: هههههه، صديقك هههههههه.

رهسان: أجل، صَديقي، فقد أُعجِبت بتخطيطك لكل ذلك وذكائك الفذ وقُدرتك على الإقناع وإتمام الصفقات، وفوق هذا كله يروق لي إخلاصك لـ"ظام" وخَوفك عليه وإصرارك علَىَ تَحريرِه.

سهدان: شكرًا لك سيدي "رهسان".

مسعود: إذًا أنت هنا كما تَوقعتُ لإتمام صفقةً مع "سهدان".

رهسان: أجل. فهل تُريد الموت الآن أم تنسحب أنت ومن معك؟ الخيار بين يديك.

مسعود: ولماذا لم تحرر "ظام" بعد؟

رهسان: هذا ليس مِن شَأنك، فَلِكلٍ مِنا مُخَطَاته.

مسعود: أم تقصد أنك سَتجبر "ظام" على الإتيان لك بالزئبق الأحمر حتى تُحرره بعدما قُتل مُساعِدَه "سهدان"؟

رهسان: وهو كذلك. والآن عليكم الرحيل قبل أن ينفد صبري معكم وأشتهي قتلكم جميعًا.

منتصر: تَقتُل مَن يا قزم أنت!

وهجم "منتصر" على "رهسان" حتى يَلكمَه، ولكن لم يُنصت لحديث "مسعود"، فضربه "رهسان" فألقاه بعيدًا، ولكن هجم "اسكار" هو الآخر حتى يلتهم ذلك الجني الخبيث. ففرد "رهسان" جَناحيه وطار لأعلى.

سيف: يا عَليِّ، أَسرع وألقي نَظرة على "منتصر"، وأنا وأبوك سَنهجم عليه بناب الذئب.

وذهب "علي" إلى "منتصر" حتى يراه فاقد الوعي أم ماذا، فوجده بالفعل فقد وعيه إثر الضربة القوية. فضَربه "علي" على خده حتى أفاق "منتصر"، وتجمع الأربعة من جديد و"اسكار" الذئب حتى يتجاوزوا العقبة التي تتمثل الآن في "رهسان".

لكن هَبط "رهسان" بقوة على الأرض مما جعلهم يسقطون جميعًا أرضًا، ولكن أسرع "علي" بالانتصاب من جديد وهجم عليه، ولكن طار نحوه "رهسان" حتى يَخترقَه فيقتله، ولكن قفز "منتصر" على "علي" حتى يُنقذَه، فأصاب جناح "رهسان" ذراع "علي"، فيا لها من أجنحة حادة كادَت أن تفصل ذراع الفتى لولا أنه لم يتمكن منه بجناحيه.

ولكن لحظة، يبدو أن هناك شخصًا قد قفز هو الآخر على ظهر "منتصر" في مَشهد بطيء.

حيث أتى "سيف" مُسرعًا وجَعل قَدمه على ظهر "منتصر" وهو منحني في الأرض، وقفز "سيف" وهو مُمسك بناب الذئب في يده وجعل الناب يُصيب جناح "رهسان" الأيمن، مما تسبب في فقدان توازنه ووقع أرضًا.

وصرخ "رهسان" من الألم لأول مرة، فكانت صَرخةً مُدويةً وكأَّن الجحيم قد فُتحَت أبوابه السبعة من شدةِ صرخةِ "رهسان"، وأشتعل الكهف بالنيران المُلتَهبة، وقادت عَيناه بِشَرر أحمر وتَوَهج جسده فكان جسده قِطعةً من بُركان مُخططًا باللون الأحمر وسط لونه الأسود.

وذهب مسعود هو الآخر لقَتل رهسان، فانتفض الأخير من مكانه فلم يُصِبه، ولكن كان منتصر سريعًا كفاية ليرمي بالناب خاصته على رهسان بقوة لتجعل ناب الذئب يَقتَلِع عَينه، فصرخ أكثر، وجَعله الألم يصطدم بأحد الهوابط المتدلية من سَقف الكهف ليسقُطَ أرضًا، مما جعله فريسة سهلة للذئب إسكار. وهجم بالفعل عليه، وصاح الجميع منهم في فَرحَةٍ، ولكِنَها لم تكتمل تلك الفرحة حيث عَوىَ إسكار عاليًا وسقط أرضًا وكأنه يَصرُخ ألمًا هو الآخر .

. فَوقفَ رهسان مُلقيًا بالذئب، وطَرف جَناحِه يَقطُر دَمًا فقد أصاب إسكار في جَنبه إصابة شَديدةً قاتلة، وهاج رهسان بقوةٍ وطار نحو علي، فضربه بقوة، والتف نحو سيف فأصابه بذيلِه المُدبَب ليجرح وجه سيف وأخذه وطار به لسقف الكهف وألقاه أرضًا. ولكن كان من حُسن حظ سيف أنَّ الارتفاع لم يَكُن كبيرًا، فسقط

علىَ ظهره مُستلقيًا مُتألمًا يَتلوىَ. وهبط رهسان بسرعةٍ ليضرب مسعود في مَعِدَتِه، ويُمسكه من قَدَمه ويَلتف به بقوةٍ، وألقاه على أحد الجدران، ونظر رهسان للمتبقي وهو منتصر. فمشىَ إليه رهسان في هدوء، ولكن منتصر كانت قبضته القوية سريعةً كفاية فلكمه على عَينه المصابة، فضرب رهسان بيده منتصر، ولكنه ضابط ذو خِبرة في القتال والدفاع عن النفس ووقف مثل لاعب الملاكمة، وجعل يداه أمام وجهِه وأخذ يضرب رهسان بقبضة من حديد، قبضة تلي قبضة، وكلما حاول رهسان أن يضربه كان يتفاداها بمهارة.

وقف رهسان بعيدًا حتى يلتقط أنفاسه من شِدة لكمات منتصر له، ونظر لمنتصر نظرة غضب، وابتسم له في خُبث، وهَجمَ رهسان علىَ منتصر ليضربه، ولكنه لم ينجح مرةً أخرى، وضربه منتصر، فضحكَ منتصر من رهسان وحاول مرةً أخرى ومرة أخرى، ولكن كان منتصر حقًا بارعًا، فأشبعه ضربًا مُبرحًا، فكان يتفادى لكمته ويلكم هو بقوة.

وانتصَب الإثنان أَمام بعضهما البعض في مَشهد مَهيب، فهذا قائد جيش البهاطل الذي تهابه الشياطين، وذاك ضابط علىَ كَفاءةٍ عاليةٍ من القتال. أفاقَ عَلِي من ألمه وهرول لإفاقة أبيه وسيف، ووقفوا ليروا ماذا يفعل منتصر. وهجم منتصر هذه المرة على رهسان بلكمةٍ يُمنىَ علىَ وجه رهسان، وضربه باليسرى بلكمةٍ صاعدة على فكه السفلي، وصرخ رهسان بقوة في وجه منتصر، وفرد جناحه ليضرب به منتصر، ولكن منتصر يتفادىَ جناحه، وأصبح منتصر

علىَ الجِهة الأخرى من رهسان. التفت له حتى يجد رهسان قد التف سريعًا بجناحه ليقطَع عنق منتصر، فَنَحرَه بطرفِ جناحه. فأمسكَ منتصر رقَبته وجَحظَت عيناه وأحمَّر وجهه وسالت دِمَاؤه من فَمه ورَقبتِه، وسقط علىَ رُكبَتيه فى الأرض، وصَرخوا جميعًا: "منتصر!"

بَطِيءٌ الزَمن وهُم يَصرخُون علىَ صَديقهم الذي قُتِلَ أمامَهم بَعد أن تحسنَ خُلقَه وكان قَويًا وتَصدَىَ للشيطان بِجَسدِه فقط، أَعزلٌ بدون سِلاح لا يملك سِوىَ قَبضتهُ القَوية. وفَزِع الجَميع لِمُنتصر فقد كان يَلفُظ أنفاسه الأخيرة. وأَمسكَ مسعود رأسه ووضعَها علىَ فخذِه وهو يَبكِي.

وقال منتصر: "هل لكم أن تُسامحوني وتَدعوا لي بالمغفرة؟" وشَهقَ آخِر شَهيقٍ له، وخَارت قُواه وسَقطَت يداه، وتوقَفَ القَلبُ ليقِفَ قَلبُ الجميع معه من الحُزن.

وصَاح سيف في حُزن يَغلبه الغَضبُ العَارِم وقام يجري خلف رهسان الذي طار مُرفرفًا بجناحيه خارج الكهف.

سيف: والآن قد فقدنا واحدًا منا وفقدنا إسكار ولم يبقَ سوى نحن. كيف سنقتُلَه ونقتل ظام هو الآخر؟

علي: وهو يبكي، لن أرحلَ بدون انتقام يا سيف، لن أرحَل من هُنا بدون قتل هذا الشيطان اللَّعين، حتى وإن كان الثَمن هو حياتي أنا الآخر.

مسعود: لا، لن تُسلبَ روحًا أخرىَ في هذا اليوم.

علي: إذًا، ماذا سنفعل يا أبَتِي؟ كيف نتخطىَ هذا القزم الذي أتى من الجحيم؟

سيف: من يَكسِر لنا غُصنًا اقتلعنا له شَجرته يا علي، سنحرقه وننتقم منهم جميعًا.

مسعود: سنقتله ونمزِقَه تمزيقًا ، إربًا إربًا يا بني.

سيف: ألا يوجد في جُعبتِكَ طلسم يحمينا من رهسان؟

مسعود: لا يا سيف، إنه قويٌّ ولديه القدرة علىَ تجاوز أي طلسم إخفاء أو حِماية.

سيف: علينا تقيِّيدَه إذًا.

مسعود: ليس من السهل تقييد رهسان يا بُني، فإنه لم يأخذ قيادة جيش البهاطل من فراغ.

سيف: وأنا لم أقصد تقييده بالطلاسم يا عم مسعود، فالآن علينا استخدام عقولنا.

علي: وكيف هذا إذًا؟

سيف: الخُطة كالتالي: أولاً، علينا استدراجه حتى ينزل إلى الأرض مرةً أخرىَ.

ثانيًا، أن نجعله مَشغولاً مع أحدُنا، ومن ثم يأتي من خَلفِه الإثنان الآخران حتى يُمسكوا بجناحيه.

ثالثًا، تمزيق الجناحين حتى لا يستطيع الطيران مرةً أخرىَ.

رابعًا، نخترق جسده بأنياب الذئب، ثم نتخلَص منه ومن شره ونتَفرَّغ للشيطان الأكبر، ظام.

علي: حقًا إنك رائع، يا لها من خُطةٍ جُهنمية لتتماشى مع كائن أتىَ من الجَحيم.

مسعود: لو كان منتصر رَحِمهُ الله على قيد الحياة لكان هو أفضَلُنا في ذلك، كان سيشغله في القتال ومَزقه أيضًا.

علي: ليرحمه الرحمن ويغفر له.

سيف: رحمه الله وغفر له، ولذلك علينا إتمام ذلك وقَتلِه حتىَ لا يكون موت منتصر هباءً منثورًا.

مسعود: إذًا، مَن سيكون الطُعم لإشغال رهسان؟

سيف: إنه عليٌّ.

علي: ماذا؟!

سيف: أجل، أنت. فأنتَ صَغيرُ السِن، خفيف الحَركة، وخِصمٌ سهل لرهسان، سيستخف بك وينزل على الأرضِ بقدميه، وهذا ما نُريد.

علي: حسنًا إذًا، ولكن لا تدعاه يَقتَلع رأسي قبل أن أَقتُله.

مسعود: لا تقلق ولا تَخف ولا تحزن، إن اللَّه معنا يا بُنَيَّ، فعَينُ رحمته تُحاوطُنا.

هيا الآن لنستدعيه ونأتي به إلى الشرَك.

وقاموا باستدعاء رهسان ونادوا عليه حتىَ ظَهر مرةً أخرى، ليختبئ مسعود وسيف خَلف صَخرةٍ، كلٌّ منهما يُمسِك بأحد الأنياب. ووقف عليٍّ في وسَط الكهف يُنادي عليه:

علي: يا جبان! تعالَ، سأقتلك بيدي ،أم أنك خائف مني الآن؟

حتى هبط بالفعل رهسان أمام عليٍ وأمسكَ برقبة علي وهو يخنقه بيده، ولكن علي ضَربه بقدمه فأفلَته رهسان إثر الضربة، وهربَ علي مسرعًا ليختبئ خلف أحد الصواعد. وأسرع رهسان خلفه، ولكن كُلما وجد رهسان عليًّا كان علي يهرب منه ليختبئ مرةً أخرى.

ولم ينتبه رهسان لِعَدم وجود سيف ومسعود لكثرةِ انشغاله مع علي وضَحكه على حالةِ الفتىَ وهروبه منه. وما كان يجول في خاطر علي حينئذٍ أنه سيهرب منه حتى يقترب من مكان اختباء سيف ومسعود، ليُوفِّر لهما وقتًا كافيًا ومسافةً قريبةً حتى ينقضّا عليه سريعًا قبل أن يَفتِك به رهسان.

***

هبة: يا أمي!

الوالدة: نعم يا بُنيتي، ماذا بكِ؟

هبة: أشعر بغُصَّة في قلبي.

الوالدة: هل أتصل بالطبيب حتى يأتي ويراكِ؟

هبة: لا يا أُماه، بل قلبي مقبوضٌ علىَ سيف. يبدو أنهم في خطر جميعًا، هناك خطرٌ قريبٌ منهم.

الوالدة: إذًا فلتدعُ الله بأن يُنجِيَه ومن معه من كُلِ شَر وسوء، يا حبيبتي. إن الله قريبٌ منا، مُطَّلِعٌ علينا، وأقرب إلينا من حَبل الوَريد، وقدرته أقوى منكِ في إنقاذ سيف، وأقوىَ من كل شيء وشر.

هبة: ماذا أفعل يا أمي؟ فأنا خائفة عليهم.

الوالدة: استعِيذي باللَّه من الشيطان الرجيم حتى يهدأ رَوعكِ أولاً.

هبة: أعوذ باللَّه من الشيطان الرجيم، أعوذ باللَّه من الشيطان الرجيم، أعوذ باللَّه من الشيطان الرجيم.

الوالدة: رددي من ورائي يا صغيرتي:

اللَّهم صلِّ وسلِّم وزِد وبارك على سيدنا محمد عدد الرمال والحصى في مستقر الأراضين شرقها وغربها وسهلها وجبالها، من يوم خَلقتَ الدنيا إلى يوم القيامة، في كل يوم ألف ألف ألف مرة، وعلى آله وصحبه أجمعين.

سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، له المُلك وله الحمد، يُحيي ويميت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير.

باسم اللَّه خَيرُ الأسماء، باسم اللَّه الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء.

باسم اللَّه افتَتحت، وبالله خَتمت، وبه آمنت.

باسم اللَّه أصبحت، وعلى الله توكلت، هو اللَّه ربي لا أشرك به أحدًا. اللَّه أكبر، اللَّه أكبر، اللَّه أكبر.

باسم اللَّه على نفسي وديني وأهلي وأحبائي.

باسم اللَّه على كل شيء أعطانيه ربي.

أسألك اللهم بخيرك من خيرك الذي لا يعطيه أحد غيرك. عزَّ جارك، وجلَّ ثناؤك، ولا إله غيرك.

اجعلني في عياذك من شر كل سلطان ومن الشيطان الرجيم.

اللهم إني أحترس بك من شر جميع كل ذي شر خلقته، وأحترز بك منهم، وأقدم بين يدي.

أعوذ بكلمات اللَّه التامات اللاتي لا يُجاوزهن بَر ولا فاجر، من شر ما خلق وبرأ وذرأ، ومن شر ما ينزل من السماء، ومن شر ما يعرج فيها، ومن شر ما ذرأ في الأرض، ومن شر ما يخرج منها، ومن شر فتن الليل والنهار، ومن شر كل طارق إلا طارقًا يطرق بخير يا رحمن.

اللهم احمِ وصُن سيف ومنتصر ومسعود وعلي من كل شر يجول حولهم، يا حفيظ، يا حفيظ، يا حفيظ.

وصلَّ اللهم وسلَّم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين.

وردَدت هبة خلف والدتها حتى انتهتا من الدعاء، فهدأت تمامًا وسكن قلبها، وشربت قليلاً من الماء، وجلست تقرأ القرآن هي وأمها.

***

اختبأ علي خلف صُخيرة بجانب تلك الصخرة التي يكمن وراءها سيف ومسعود، وانتظروا حتى اقترب رهسان من علي وأمسك به. وأخذ علي يضرب رهسان بيديه، بينما كان رهسان يضحك منه، ثم أمسك بيده. فرفع عليٍّ يده الأخرى لضربه، ولكن رهسان أمسك بيده الأخرى أيضًا.

صاح علي: "هيا الآن!"

فالتفَّ سيف ومسعود من خلف الصخرة وأمسكا بأجنحة رهسان، فأفلت علي من يديه، وكان هذا هو المطلوب. وما أن وقع عليٍّ علىَ قدميه حتى أمسك أحد الأنياب وضرب به كتف رهسان، ليصرُخ الأخير متألمًا. وأخذ سيف ومسعود يَشُدان كلًّا منهما جناحَيِّ الشيطان، بينما أمسك عليٍّ قدميه.

لكن رهسان كان الأقوى في هذا النزال، فاستطاع الإفلات منهم جميعًا، وركل علي ركلةً عنيفةً جعلته يطير بعيدًا. نظر رهسان إلى سيف ومسعود، وعيناه تنطق بما سيحدث الآن، فقد اشتعلت نيرانه، وفرد جناحيه وذَيله حتى جعله كَذنَب العقرب.

وبين كل هذا الغضب والرعب، سمع الجميع، بما فيهم رهسان، صوت عِواء ذئب غاضِب. وما أحس الجميع إلا بانقضاض اسكار علىَ عُنق رهسان، حتى انتزع عُنقه بفكَّيه وهو يسيل دمًا. كان اسكار مصابًا في جنبه، ولكن شاء اللَّه أن يَحيَّ حتى ينتقم لمنتصر ويُنقذ الآخرين، فقتل رهسان في الحال.

خارت قوى اسكار هو الآخر، فأسرع مسعود بإمساك جُرحَه، ومَزَق جِلبابه ليربط علىَ جُرح الذئب. حمله سيف وعليٌّ لإخراجه خارج الكهف، حتى يتنفس هواءً نقيًا بعيدًا عن تلك الأجواء المزدحمة بالأخطار والرعب والموت.

ثم عادوا لِحَملِ جُثة صديقهم منتصر، ليضعوها بجانب الذئب في الخارج، فقد كانا صديقين في حياتهما، وكذلك في موتهما.

واجتمع الثلاثة من جديد داخل الكهف، واستعدوا لمواجهة الشر الأكبر، ذلك الشيطان المُسَلسل بداخل الكهف الذي لو تحرر لقَتلهم جميعًا دون أن يتحرك من مكانه، ذلك الكائن الأسطوري الذي عمَّر من السنين ما عمَّر.

جَلس علي بجانب أحد جُدران الكَهف، وأخذ يلتقط أنفاسه بصعوبة وهو يبكي ويزرف الدَمع.

مسعود: انهض يا بُني، فلا وقت الآن لزرف الدموع، وإنما إراقة الدماء من تلك الشياطين.

سيف: ماذا سنفعل الآن يا عم مسعود؟ كيف سنواجه ذلك الشيطان؟

مسعود: لن نواجهه، فلا قوة لنا بلقاءه يا سيف، إنه شيطان باطش لا نقوى على مواجَهته، ولكن سنُلقي عليه طلسمًا لحبسه وتقييده هنا.

سيف: كيف هذا؟

مسعود: سأخبركم الآن بما سنفعل.

سيف: ماذا لو جاء أحد السَحرة أو أحد الأغبياء لتحريره؟

مسعود: وهل تلك فاتتني! لا تقلق، سأجعل عليه رَصَدًا فوقه رَصَد أقوى حتى لا يستطيع أحد تحريره مجددًا، وأنَّ من يأتي هنا ويحاول قول طلسم تحضير أو تحرير سيموت قبل أن ينطق بكلمةٍ واحدة.

سيف: حسنًا، ماذا سنفعل الآن؟ فهذه ستكون أصعب مواجهة.

مسعود: هذه ستكون أسهل من التي سَبق، فما علينا سوى تحضير المكان، ومن ثم تحضير ظام، ونقول الطلسم حتى يتم تجديد القَيد، وإقامة رَصد على قيده، ورصد على رصده نفسه، وعلى المكان من حوله.

علي: إذًا هيا بنا نسرع حتى نترك هذا المكان اللعين، ونحمل منتصر المسكين، ونرحل هو وذلك الذئب المُلقىَ بالخارج يلتقط أنفاسه الأخيرة.

مسعود: هيا، ولكن استعدوا جيدًا لذلك، فسيكون مُرهِقًا جسديًّا وروحانيًّا أكثر مما نظن.

وأخرج سيف من جيبه عِدة أشرطة من البرشام وأعطَى عليًّا ومسعودًا منها.

سيف: خُذ يا عم مسعود أنت وعلي هذه الحبات، ستساعدنا على تحمل ما بقي من المواجهة.

علي: ما هذا البرشام يا سيف؟ هل هي إحدى المخدرات التي تساعد على تحمل المشاق؟

سيف: لا يا علي، لا تقلق. إنما هي مكملات تعطينا طاقة، وتلك الحبة الأخرى تعمل كمهدئ، تساعدنا على تنظيم ضربات القلب ومُسكِن للآلام.

علي: حسنًا، حسنًا. هيا نبدأ الآن، فأُفضِل الشعور بالألم حتى يحترق ذلك الشيطان من ألمي وغضبي.

وبدأوا في تحضير المكان من حولهم. رَسَم مسعود النِجمة الخُماسية على أرض الكهف وأخذ يكتب كلامًا وحروفًا وأشكالًا هندسية غريبة من مثلثات ومربعات ودوائر متداخلة، بدمٍ أحضره مسبقًا في حقيبته. ثم أخرج شمعًا لونه أسود ووضع شمعةً علىَ كل

ذراع من أذرع النجمة الخماسية، و حَدَهَا بدائرة تلمس النجمة من الخارج، حيث رسم النجمة داخل الدائرة.

وطلب من سيف وعلي أن يكتُبَا طلسمًا معينًا على جدران الكهف كلها، وأخبرهما بأن يسرعا في عملهما ثم يعودان إلى وسط الدائرة، ويجلسان داخلها، ويشعلان شمعةً أخرى، ويرددان آية الكرسي مئة مرة حتى ينتهي مسعود مما يكتب هو أيضًا على آخر جزء في الكهف.

في ذلك الجزء المظلم الذي يعلم مسعود أن "ظام" مقيد فيه، كان يكتب بلون أحمر، لكنه ليس دمًا هذه المرة، بل زعفران، تلك العشبة الحمراء التي يُطلقون عليها "تاج الجن". وبعد انتهائه، عاد هو الآخر إلى الدائرة وطلب من سيف وعلي إغلاق أعينهما تمامًا، وألا يفتحاها مهما سمعا أو شعرا، ويستمرا في ترديد آية الكرسي حتى يطلب منهما التوقف.

أخذ مسعود شمعة هو الآخر وأشعلها، ثم أمسكها وجعلها تَسيل، ورسم خطًا يصل بين سيف وعلي، وأكمل الشكل بضلعين آخرين حتى يكون مثلثًا. جلس هو الآخر على رأس ذلك المثلث، ووجَهَ بصره إلى ذلك الجزء المظلم في الكهف الذي لا يستطيع الوصول إليه أحد من البشر أو الحيوانات الموجودة في المحمية الطبيعية.

مسعود: ارفعا صوتكما بالقرآن الآن حتى أطلب منكما التوقف، ولا تفتحا بصريكما إطلاقًا.

وبالفعل، ردَّد الاثنان آية الكرسي كما طلب، بصوت عالٍ ومرتفع، ليتردد في جميع أنحاء الكهف المرعب، وصدىَ صوتهم يتردد هنا وهناك.

وقال مسعود طلسمًا لتحضير "ظام".

إيزوس، إيلاس، باليس، يلباس، طهياش، مهراش،

احضر يا ظام، يا أيها القط الأسود، برقان، إيلان، أميُوس، أرمَاس.

أقسمت عليك باسمك الذي لا يعرفه أحد، وهو زنقيط، احضر فورًا ولبِّ النداء الآن.

طهطباش، أزميراش، شهطبار، دادار، هيلاش، أبراش، شاهيط، سيراج، ميراج، هيطلوخ، طهطرون، طهماش،

تجسّد يا مُسلسَل، تجسّد يا مُسلسَل.

صخيوقاش، رهيّاع، عوقار، رعديار، برنبار،

توكلوا يا خدام هذا الطلسم الآن.

طهياش، صعضياش، طباخير، شمراخ، صعقروش، بارال،

وكلّنا الخدام وتلونا القسم بيننا عهد قديم لا ينفض ولا ينكسر. عليك الآن، عليك بالظهور.

طهروقان، غيلان، صعمراخ، سلهرار، قهراش، برناخ، شهجمان،

أقسمت عليكم يا معاشر الجن السفلية، أقسمت عليكم يا معاشر الجن العلوية، أقسمت عليكم يا من خلقتم من نار السموم. أجيبوا يا خدام حرف السين.

سلطايار، برطاش، مهرياش، مهطرول، بهرباش،

احضر يا ظام، احضر يا ظام.

مهرشان، جيلوس، برخيار، منسلوس، شمهطير، هطبراش.

إيزوس، إيلاس، باليس، يلباس، طهياش، مهراش،احضر يا ظام، يا أيها القط الأسود، برقان، إيلان، أميُوس، أرمَاس.

أقسمت عليك باسمك الذي لا يعرفه أحد، وهو زنقيط، احضر فورًا ولبِّ النداء الآن.

طهطباش، أزميراش، شهطبار، دادار، هيلاش، أبراش، شاهيط، سيراج، ميراج، هيطلوخ، طهطرون، طهماش،

تجسّد يا مسلسل، تجسّد يا مسلسل.

صخيوقاش، رهيّاع، عوقار، رعديار، برنبار،

توكلوا يا خدام هذا الطلسم الآن.

طهياش، صعضياش، طباخير، شمراخ، صعقروش، بارال،

وكلّنا الخدام وتلونا القسم بيننا عهد قديم لا ينفض ولا ينكسر. عليك الآن، عليك بالظهور.

طهروقان، غيلان، صعمراخ، سلهرار، قهراش، برناخ، شهجمان،

أقسمت عليكم يا معاشر الجن السفلية، أقسمت عليكم يا معاشر الجن العلوية، أقسمت عليكم يا من خلقتم من نار السموم. أجيبوا يا خدام حرف السين.

سلطايار، برطاش، مهرياش، مهطرول، بهرباش،

احضر يا ظام، احضر يا ظام.

مهرشان، جيلوس، برخيار، منسلوس، شمهطير، هطبراش.

وما كاد أن يبدأ في التكرار للمرةِ الثالثة حتى انشقَّت أرض الكهف وانشق الجدار، وسمعوا أصوات الجحيم من حولهم تصرخ، والجِنَّان من حولهم يتطايرون من هنا وهناك. خرجت الأذرع السوداء المتفحمة من أصل الجحيم المشتعل باللهب، وظهر ظام العملاق في تلك الزاوية، جالسًا على كرسي من صَخر ملتهب، مكبلاً بالحديد والنيران.

كان على وجهه أبشع النظرات وأشدها رعبًا، لو رأيت ذلك الوجه لمت رعبًا وفزعًا. قبحٌ لم يكن بعده قبح. قرونٌ على رأسه العملاق

الأصلع، ولحية طويلة سوداء كشعر فرس تتدلى من ذقنه. فمه كان يبرز منه الأنياب كأنياب الخنزير البري، وأسنانه كبيرة وحادة.

أما جسده العملاق، فقد كان عريض المنكبين، ضخم الجسد، طويلاً كالغوريلا. جلده السميك مثل جلد الفيل، شديد السواد، وعروق جسده الحمراء بدت كأنها نيران تجري بداخلها. كانت له مخالب وأقدام ذات حوافر، وشَعر كثيف يكسو جسده وقدميه.

ارتفعت صوت الصرخات وصخب أكثر فأكثر، مع صوت العذاب الذي ليس له مصدر سوى الجحيم. أصوات أُناس يُعذّبون أشد العذاب. لكن سرعان ما هدأت تلك الأصوات المرعبة كلها بضربة واحدة من صولجان الشيطان على الأرض.

مسعود: الآن يا علي، أنت وسيف، رَددوا خلفي سريعًا، ولا تفتحوا أعينكم.

ظام: هههههههههههههههه.

(ضحك ظام ضحكة خبيثة عالية وقال):

ظام: أتظن أنهم معك الآن؟ هههههههههه. كل واحد منهم في عالم آخر، ولم يبقَ سوى أنا وأنت يا مسعود، مرة أخرى.

***

علي (بصوت داخلي): أين أنا؟ كيف جئت إلى هنا؟

(كان المكان مظلمًا ضيقًا باردًا، أرضه رملية، تَحُدّه أربعة جدران حجرية. تأكد أنها خمسة عندما حاول الوقوف، فاصطدمت رأسه بسقف هذا المكان. نور أحمر خَافِت تسرب إلى المكان دون مصدر واضح، مما أتاح له رؤية ضعيفة.)

رأىَ عليٍّ تلك الأكفان البيضاء بجواره، وأكفانًا بَالية أخرى تظهر منها عظام من لُفَّ بها. ارتعب وفَزِع من مكانه، وأدرك أنه في قبر قديم حُبس داخله. لم يعلم كيف وصل إلى هنا بعدما كان مع والده والدكتور سيف في الكهف، حيث كانوا يُقيِّدون الشيطان.

(اشتدّ ذلك الوهج الأحمر المخيف مجهول المصدر، حتى رأى مرةً أخرى الأكفان تتحرك حركةً خفيفةً. صرخ صرخة مدوية تكاد من شدتها أن تُوقِظَ الأموات من سُباتهم الأبدي. شعر بيد باردة تمسك بيده، وأخرى تمسك بقدمه.)

(نظر بجانبه، فرأى جثة متحللة تمسك به و تزحف كالأفعى على بطنها، ثم قامت. عندما نظر إلى وجهها، رأى أن الجثة هي والده، مسعود!)

كان عليٍّ ذلك الفتى المُرتَعب الذى ذاد رعبه أضعافًا عندما رأى وجه أبيه مسعود هو من كان بجانبه

كان وجه مسعود مسلوخًا، وفكه ممزقًا، أسنانه بالية، وعينه اليمنى سوداء مظلمة تغمر من يراها بالرعب وتُغرقَه فى أصعب كوابيسه. ينزل من فمه دم أسود كريه الرائحة، قبيح المنظر.

(صرخت الجثة في وجه علي):

الجثة: ما كان لنا أن نفعل ذلك! الموت! الموت! الموت!

(صرخ علي رعبًا، وفزعًا، وضرب الجثة بقدمه. زَحفَ بمؤخرته للخلف حتى أسند ظهره على الجِدار. فجأة، صرخت كل الجثث بصوت مرعب، صوت عذاب. سمع علي صوت تكسير عظام الموتى. الجدار عن يمينه بدأ يقترب، والجدار عن يساره كذلك هو الآخر. حاول الوقوف، ولكن سقف القبر المنخفض منعه.)

(اقتربت الجدران الأربعة، مما جعله مستلقيًا على ظهره فى أرض القبر. بدأ الجدار الخلفي يدفعه ويزحزحه للأمام. تحركت جميع الاتجاهات نحو بعضها. كانت تلك ضمة القبر التي سَمِع عنها ولم يَرَها من قبل.)

(أخذ علي يردد الشهادة مرارًا وتكرارًا، لأنه علم أن النهاية قد حانت وموته مُحَتَم. إذ لم يكن قد مات بالفعل ، وهو فى القبر الآن مع والده. سمع صوت العظام تتكسر، والجدران تضيق عليه. ويضم القبر ضَمته علىَ جسد الفتى المسكين. وصرخ صراخًا مدويًا من جلوس جثة أبيه فجأة التى ظهرت فوقه، تحاول خنقه. وتعصر عنقه، كانت تضغط على رقبته بقوة.)

(ضرب علي الجثة بكل قوته لمنعها من خنقه، ثم فجأة، سُحبت الجُثة بعيدًا. فتح عينيه ونظر باتجاه قدميه، فرأى شقًا في الجدار المقابل تخرج منه نيران ملتهبة. كان المشهد كجحيم فَتح بابه، أَيادٍ سوداء طويلة كثيرة تمتد من الشق، صوت صراخ وعذاب يصدر من الداخل.)

(تلك الأيادي السوداء لم يكن لها أجساد، فقط أيادٍ تمسك بكل من تصل إليه، لتسحبهم إلى اللهب.)

لا أجساد فى المشهد لا يوجد شئ سوى تلك الاذرع الطويلة السوداء ولهيب النار الذى يبتلع كل شئ

(إحدى الأذرع أمسكت بقدم علي، وأخرى بيده، ووضعت ذراع ثالثة على رأسه وعينيه، وبدأت تجره نحو النار. قاوم علي بشدة، واضعًا يديه على حافتي الجدار، محاولاً منع سقوطه وهو يستغيث ويصرخ عاليًا، ولكن من هناك ليسمع صرخاته واستغاثاته ، لا أحد !

لكن الأيادي كانت كثيرة وقوية، وسحبته بسهولة دون جهد.)

مسعود: سأُردد أنا بنفسي الطلسم، ولن أدعك تتحرر!

ظام: سأقضي عليكَ قبل أن تتحرّك شفتاك.

مسعود: عليك أن تحاول، فلن تستطيع.

ظام: هههههههههه، حسنًا، لنحاول إذًا ونرى.

أشار ظام بيده نحو مسعود، ليجد الأخير نفسه يختنق بشدة، وعُنقه يُعصَر كأنها بين فكيّ وحشٍ غاضب. ضحك ظام مرة أخرى بصوتٍ عالٍ ثم تركه.

ظام: أرأيتَ إن كنتُ أستطيع أم لا يا مسعود؟ هههههههههه.

مسعود: ولمَ تركتني إذًا؟

ظام: لأنك ستُحرّرني الآن، يا ملعون.

مسعود: بل أنت الملعون، يا من لعنك اللهُ من فوق سبع سماوات، ولن أحرّرك أبدًا مرةً أخرى.

ظام: حياة ابنك والآخر بين يدي. أتريد أن تُضحي بهم؟

مسعود: ماذا تقصد؟

ظام: انظر خلفك.

نظر مسعود خلفه ليجد سيف وعلي مُلقَيين على الأرض، أجسادَهُما ترتعش وكأن صاعقةً قد ضربتهما أو كأنهما أسيرين لمسٍ شيطاني. بدا لهما وكأن تيارًا كهربائيًا يسري في عروقهما، وكل ذلك الوقت لم يعلم أنهما فاقدا الوعي خلفه، على وشك الموت.

***

في صعيدِ مصرَ العزيزِ، وتحديدًا في محافظةِ سوهاجَ، المُلقَّبةِ ببلدِ المواويلِ، تسكنُ عائلةُ آلِ شدادٍ في أطرافِ القريةِ هناك. والذين يعلمُ الجميعُ أنَّهم أناسٌ جبارونَ لايخشونَ أحدًا كائنًا مَن كان، وبينهم وبين

عائلةِ المساوحِ طارٌ قديمٌ أُريقتْ بسببه دماءٌ كثيرةٌ، استمرَّت لأكثرِ من أربعينَ سنةً.

في ليلةٍ صامتةٍ صماء داخلَ دُّوارِ بيتِ آلِ شدادٍ، كان أبناءُ العمِّ الثلاثةِ يجلسونَ معًا:

سعودي: ماذا سنفعلُ الآنَ يا جودةُ؟ ألن نأخذَ بثأرِنا من هؤلاءِ الملاعينِ؟ أم أنَّكم خائفون؟

جودة: ماذا تقولُ يا غبيُّ أنت! أنا مَن قتلتُ خمسةً منهم، وتقولُ لي الآنَ إنِّي خائفٌ؟

همام: ألم يكفِ بعدُ؟ هل نستمرُّ في هذا النزيفِ يا أبناءَ العمِّ؟ لقد ماتَ الكثيرونَ وفقدنا أعزائنا طوالَ تلكَ السنينِ المريرةِ. ماتَ أبوكَ وولدَاكَ يا سعوديُّ، وأنتَ يا جودةُ قُتلتْ زوجتُكَ وبنتُكَ الوحيدةُ وأخوكَ حسنٌ!

جودة: لن يكفيني في موتاي عائلتُهم بأسرِها! وعليكَ بالصمتِ يا همامُ، واتركنا نحنُ؛ فأنتَ تدَّعي المشيخةَ والتعبُّدَ، أما نحنُ فأهلُ التَجَّبُر واترك لنا امور الرجالِ والثأرِ.

همام: يا أبناءَ العمِّ، بدأ الطارُ بسببٍ تافهٍ؛ فقد قُتلَ جدُّكم شدادٌ بسببِ نعجةٍ أكلتْ من زرعِ المساوحِ، ثمَّ قَتلَ عمُّكم طاهرٌ ثلاثةً منهم للأخذِ بالثأرِ لوالدِه، وهكذا يقتلونَ ونقتلُ. إلى متى؟ متى سيتوقفُ كلُّ ذلك؟

سعودي: يا جودةُ، دعه وهيا بنا. نجمعُ أقوى صبيانِنا ونذهبُ الآنَ؛ فقد علمتُ أنَّ مصطفى بنَ محمودِ المساوحِ يجلسُ في حقلِهم الآنَ مع إخوتِه الأربعةِ.

تركوا همامَ وحدَهُ في المنزلِ، وذهبوا جميعًا لقتلِ الفتيةِ المساكينِ.

همامُ (يدعو):

اللَّهُمَّ لا تَكِلْني إلى أحدٍ، ولا تُحْوِجْني إلى أحدٍ، وأغْنِني عن كلِّ أحدٍ. يا مَن إليه المستندُ، وعليه المعتمدُ، وهو الواحدُ الأحدُ، الفردُ الصمدُ، لا شريكَ له ولا ولدَ. خُذْ بيدي من الضلالِ إلى الرَشدِ، ونجني من كلِّ ضيقٍ ونكدٍ.

وعزَّتِكَ وجلالِكَ يا ربِّ، ما أعرضْنا عن ذكرِكَ، وما يئسْنا من رحمتِكَ، ولكنَّكَ يا رحمنُ أعلمُ بما يدورُ بنا. إنَّها أيامٌ ثِقال، فاللَّهُمَّ هوِّنْ وارحمْ، وأنتَ خيرُ الراحمينَ.

وقرَّر همامُ تركَ البلدةِ كلِّها ويذهب منها في نفسِ الليلةِ ليبتعدَ عن كلِّ ذلكَ الدمِ والثأرِ الذي لن ينتهي أبدًا. ذهبَ إلى صديقٍ له يُدعى جمالَ في محافظةِ أسيوطَ ليُقيمَ بجوارِهِ في قريتِهِ.

كانَ همامُ شيخًا أزهريًا يحفظُ كتابَ اللهِ، وكذلكَ صديقُهُ جمالُ. وعندما وصلَ همامُ إلى قريةِ صديقِهِ سالمًا، ذهبَ إلى بيتِهِ ليبيتَ تلكَ الليلةَ معه، لكنهُ رفضَ المكوثَ بعدما علمَ أنَّ زوجتَهُ مريضةٌ ولديهِ بنتانِ، فاستحى أن يبيتَ معه هو وأسرته.

وقالَ لجمالَ: "لنذهبَ الآنَ لنجدَ مكانًا أستأجرهُ أو أبيتُ فيه للصباحِ، وغدًا نجدُ منزلاً أشتريهِ حتى أُقيمَ في القريةِ."

بعدَ البحثِ المطوَّلِ، لم يجدوا مكانًا يبيتُ فيهِ. فأخبرَهم أحدُ الرجالِ عن بيتٍ متطرِّفٍ في أطرافِ القريةِ غيرِ مسكونٍ من البشر ولا يوجدُ لهُ صاحب ولا مالكٌ حاليًا. وافقَ همامُ على ذلكَ، لكنَّ جمال سألهُ

جمال: بيتُ مَن هذا الذي تتحدَّثُ عنهُ؟

الرجل: بيتُ الناصرِ.

جمال: يا رجلُ، اتَّقِ اللهَ! أتريدُ منَّا أن نأخذَ ضيفَنا إلى بيتِ مشعوذٍ؟ ليسَ مسكونًا بالإنسِ، وإنَّما مسكون بالجنِّ!

الرجل: وماذا في ذلكَ؟ صديقُكَ شيخٌ يحملُ كتابَ اللهِ ولحيتُهُ تدلَّتْ من وجهِهِ.

جمال: وتريدُ منهُ أن يموتَ كما ماتَ كلُّ مَن دخلَهُ؟

الرجل: وماذا تريدُ منِّي؟ لا نجدُ مكانًا الآنَ، خاصَّةً أنَّنا في الليلِ.

جمال: كنتُ أظنُّكَ كريمًا، فتُضيِّفُهُ عندكَ للصباحِ.

همامُ (مقاطعًا):

"لا يا جمالُ، لا أريدُ أن أُثقلَ على الرجلِ. أنا أوافقُ على المبيتِ في ذلكَ البيتِ المهجورِ."

جمال: يا همامُ، أنتَ لا تعلمُ ماذا يوجدُ في هذا المكانِ من شرٍّ مقيمٍ. إن بهِ جنٌّ يقتلُ كل مَن يقتربُ من المكانِ.

همام: هل نسيتَ أني أُعالجُ بكتابِ اللهِ؟ لا أخشى إنسًا ولا جانًّا. إنَّ آيةَ الكرسيِّ سلاحٌ جبَّارٌ لكلِّ مَن يعلمُ ماهيتَها وكيفَ يستخدمُها.

جمال: أخافُ عليكَ يا صديقي ممَّا ستجدُ. فلن يغمض لي جفنٌ وأنا أعلمُ أنك في هذا المكان.

همام: لا تقلقْ. فقط أعطني القليلَ من الماءِ الآنَ، وفي الصباحِ أيقِظْني.

جمال: كما تحبُّ يا أخي.

وذهبا بالفعلِ إلى المنزلِ المسكونِ، وجهَّزا المكانَ للمبيتِ. كان المنزلُ عبارةً عن بيتٍ قديمٍ من الطوبِ اللبنِ والطينِ، يتكوَّنُ من طابقٍ واحدٍ بهِ غرفةٌ وحمَّامٌ صغيرٌ. ومن الخارجِ، كان بهوُ الدارِ، المعروفُ في صعيدِ مصرَ بالدوارِ. فرشا حصيرًا على الأرضِ، وكان فوقهما نافذةٌ تطلُّ على الخارجِ، يظهرُ منها القمرُ في السماءِ. كان المنزلُ معتمًا بلا كهرباءِ ولا ماءٍ، فأحضرَ جمالٌ لمبةً تعملُ بالغازِ لتُضيءَ الجلسةَ، وأتى بالماءِ كما طلبَ همامُ ليشربَ منهُ حتى الصباحِ أو ليتوضَّأَ إن أرادَ لصلاةِ الفجرِ.

كلُّ ذلكَ يُشاهدهُ سيفٌ، وهو لا يعلمُ لماذا يشعرُ أنَّ هذا الرجلَ الذي يُدعى همام مألوفٌ لهُ، لكنهُ لا يتذكَّرُهُ او يعرفه. كان يُشاهدُ كل تلك الأحداثَ وكأنَّهُ شبحٌ هائمٌ، تارةً يراها من الأعلى، وتارةً من

الأسفلِ، وتارةً أخرى تتبدَّلُ المشاهدُ والأماكنُ أمامَ عينَيْهِ سريعًا وكأنَّهُ داخلَ فيلمٍ سينمائيٍّ.

رأى سيفٌ الشيخَ همام يجلسُ في جانبِ البيتِ الذي فُرِشَ فيهِ الحصيرُ لينامَ عليهِ. تمدَّدَ الشيخُ على ظهرِهِ، ولم يكدْ يُريحُ رأسَهُ حتى سُحِبَتْ قدمُهُ وهو نائمٌ. فجلسَ همامٌ متربعًا، ينظرُ أمامَهُ بلا مبالاةٍ، وقالَ:

همام: قد بدأنا سريعًا! ولم تخشوا شيئًا، يا نارَ السمومِ؟

ليسمعَ سيفٌ أن هناك صوتًا يردُّ على همامٍ:

الصوت: لا نَخشَى منكم أحدًا، يا أيها الصلصالُ العفِنُ!

همام: ما ديانتُك يا ملعونُ؟

الصوت: وما شأنُكَ بذلكَ؟

همام: ألن تتحدثَ وتُخبرني مَن أنتَ؟ وماذا تُريدُ؟

الصوت: عليكَ أن تُجبِرَني، وتُريني قوَّتَكم يا بني آدمَ.

همام: تحذيرُكَ الثالثُ، وإلا حرقتُكَ ولا أُبالي.

الصوت: أُعفيكَ من تحذيرِكَ الثالثِ. لنرَ ماذا ستفعلُ إنْ تجسَّدتُ لكَ، يا مسكينُ. هههههههههه (يضحكُ ضحكةً أجشَّةً ضخمةً).

ضحكةُ الصوتِ أفزعتْ سيف، لكنهُ رأى همام جالسًا في هدوءٍ تامٍّ. قامَ همامُ، وتوضَّأَ وضوءَهُ للصلاةِ، ثم جلسَ مُسنِدًا ظهرَهُ إلى

الحائطِ. ونظرَ إلى زاويةٍ في المنزلِ،وانتقل بعينه للاخرىَ ،ثم زاويةٍ أخرى، ثم رفعَ عينيهِ إلى السقفِ. أدركَ سيفٌ أنَّ همام يرى ما لا يراهُ هو، فحمدَ اللهَ في سرِّهِ أنَّهُ لا يرى تلكَ الأشكالَ المُفزِعةَ.

فجأةً بدأ همامُ في تلاوةِ القرآنِ الكريمِ، واستهلَّ بسورةِ البقرةِ. ظلَّ يقرأُ، لكن ما أدهشَ سيفًا هو أنَّ ذلكَ الصوتَ الخفيَّ الذى لا يُعلَم صاحبه بدأ يُردِدُ القرآنَ مع همامٍ.

همام: هكذا إذًا. علمتُ الآنَ أنَّكَ من الجنِّ الشيعيِّ؛ فلا جنٌّ مسلمٌ يقرأُ ويُردِدُ معي القرآنَ وهو يقتلُ البشرَ بدمٍ باردٍ، ولا جنٌّ كافرٌ يُردِدُ القرآنَ من الأساسِ.

سيف (مندهشًا في سرِّهِ): إذًا، الجنُّ منهم مسلمٌ وشيعيٌّ أيضًا! كنتُ أظنُّ أنَّهم إمَّا كفَّارٌ أو مسلمونَ فقط. لم أكن أعلمُ أنَّهم يدينونَ بالكثيرِ من الدياناتِ مثلَ البشرِ.

همام: ما اسمك يا ملعون؟

الصوت: شهطار.

همام: ولماذا تقتل الناس هنا؟

شهطار: لكي أنتقم منكم يا بني البشر. ذلك الوغد حَضرني ولم يصرفني، وتركني محبوسًا هنا. سأقتلك أنت أيضًا، ولكني أتسلى بك من الفراغ. هههههههه (يضحك ضحكة شيطانية).

بدأ همام يقرأ القرآن الكريم كاملاً حتى أتمه، وكان شهطار يردد خلفه كما لو كان طفلاً يردد خلف شيخه. ثم عاد همام ليقرأ سورة البقرة مجددًا، وعندما وصل إلى آية الكرسي لاحظ أن شهطار يخفض صوته عندها ولا يرددها. بدا وكأنه يحاول خداع همام بالإيحاء بأنه يردد الآية بصوت منخفض، لكن همام انتبه للأمر.

همام: ماذا هناك؟ لماذا لا تردد الآية وتصمت؟ لماذا توقفت وتحجمت عندها؟

(لم يجد همام ردًا من شهطار، فعلم أنه خائف الآن وأن آية الكرسي ستحرقه إن قرأها همام وكررها بطريقة معينة).

همام: هل أدركت الآن أنني أستطيع حرقك؟ وأنت قد أعفيتني من التحذير الثالث، لذا حان وقت حرقك الآن.

بدأ همام يردد آية الكرسي تسع مرات. كان يقرأها مرتين بالطريقة العادية، وفي الثالثة بطريقة مختلفة ، بهذا الشكل حتى أتم تسع مرات منهم ثلاثة بطريقة مختلفة وكان يقول:

> اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ هُوَ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ عِنْدَهُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ عِلْمِهِ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَؤُودُهُ

حِفْظُهُمَا وَهُوَ وَهُوَ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ.

ثم قال:

> يا ودود، يا ودود، يا ذا العرش المجيد، بحق اسم الله العظيم الأعظم الذي زلزل الأكوان وخلق الإنس والجان، وبحق اسم الله الرحيم الرحمن، وبحق اسم الله الواحد القهار، وبحق أسماء الله الكريم المنّان وأسمائه العظام الواحد والعشرون المذكورة في الآية المزلزلة للكيان، بدأها باسمه هو،وختمها بالعليُّ العظيم ، عظيم الأكون يا هو يا هو ياهو يا الله يا الله يا الله، أحرقه بناره نار السموم. لا تجعل له أثرًا ولا معلومًا، وأره العذاب المحتوم وعَجِّز كل من كان من الخصوم ليرى هم المهوم وصب فوق رأسه يحموم مزموم وفى نار الهاوية خالدًا فيها مهزوم وفى عذاب لا نهاية له يدوم

وقبل أن ينهي همام التلاوة للمرة الأخيرة، إذا بنار تشتعل في منتصف الدوار، وصراخ من شهطار يملأ أرجاء المكان. همدت النيران بعد أن أتم همام التلاوة، ولم يبقَ سوى رماد كالصماد في موضع احتراق الجن شهطار فى الأرض.

لم يلبث عشر دقائق، سمع همام أذان الفجر. قام فتوضأ وصلى الفجر، ثم وضع رأسه لينام قليلاً. وعندما أصبح الصباح ولم تصل الساعة إلى السابعة صباحًا، جاء جمال فزعًا، يكسر باب البيت على همام. استيقظ همام من نومه مفزوعًا، ظن أن أفراد عائلة المساوح

تتبعوه ليأخذوا بالثأر. لكنه وجد جمال أمامه خائفًا، وعيناه ترغرغان بالدمع يكاد ان تتساقط منها الدموع على وجهه.

همام: ماذا يا جمال؟ أفزعتني يا أخي!

جمال: بل أنا من فزع. لم أنم طيلة الليل خوفًا عليك، وكنت ألوم نفسي على تركك وحدك في هذا المكان.

همام: وماذا في ذلك؟ لم يحدث لي شيء.

جمال: أمتأكد أنك بخير؟

همام: أجل، لا تقلق عليَّ. لكنك كدت تقتلني الآن بدخولك بهذه الطريقة وأنا نائم يا جمال. هههههههه. كنت أظنك أحد أفراد عائلة المساوح. تبعنى ليأخذ بثأره منى

جمال: وأنا كنت أظن أنك ميت!

همام: وما الذي سيقتلني غيرك؟

جمال: ذلك الجن الملعون.

همام: تقصد ذلك الرماد هناك؟

جمال: أي رماد؟

همام: ذلك الجن الذي خفت عليّ منه.

جمال: ماذا تقصد يا همام؟

همام: انظُرْ بجانبِكَ لترَى مكانَ احتراقِهِ.

جمال: أتقصدُ أنَّكَ استطعتَ حَرْقَ الجِنِّ الذي سَكَنَ المكانَ وأرْعَبَ القَرْيَةَ كُلَّها؟

همام: أجَلْ، وحَصَّنْتُ البيتَ لِيَتمَكَّنَ أحدٌ من المُكوثِ فيه.

جمال: إذًا هو لك، فلا أحدَ لهُ مِلْكِيَّةُ هذا البيتِ سوى الساحرِ الدجالِ الذي رَحَلَ وتركَه. وبذلك تكونُ قد أنقذتَ القَرْيَةَ، وسنُخبرُهُم لِيَفرَحوا، ونأخذَ رأيَهم في بقائِكَ هنا لِيَحلَّ الخيرُ على المكانَ بدلاً من الشرِّ، وتكونَ أنتَ البركةَ للقريةِ يا صديقي.

سيف (بصوتٍ مُتفاجئ): لَحظةٌ واحدةٌ... أنا أعرف من هو ذلك الرَّجلَ! هذا عمُّ جمال مُفيدٌ، صديقُ جدِّي رحمهُ الله. كان يَتردَّدُ على بيتِنا بعد وفاةِ جَدِّي، وأنا صغيرٌ. وكان يَقُصُّ عليَّ العديدَ من قصصِ جَدِّي همام.

(صَمَتَ سيفُ قليلاً في تعجُّبٍ)

سيف (مُحدِّثًا نفسَه): إذًا هذا هو جَدِّي... هذا جَدِّي همام! أجل، إنَّهُ جَدِّي همام، ولكنَّه كان في صِغَرِهِ وشَبابِهِ، لذلك لم أعرِفْه جيدًا. ولكنِّي كنتُ أشعُرُ أنَّني رأيتُ هذا الوجهَ من قبل، وتلك الملامحَ المريحةَ الهادئةَ. كيفَ لي أن أكونَ أحمقَ هكذا ولم أَنتَبِهْ له ولتلك القريةِ التي مَكَثْتُ بها وأنا طفلٌ؟ أجَل، تغيَّرتْ عن ذلك الزمانِ، وتغيَّرتِ البيوتُ، ولكن لم أَنتَبِهْ لاسمِ قريتي "موشا" التابعةِ لمركزِ أسيوط، ولا حتى لاسمِ همام وجمال، صديقِ جَدِّي... يا لي من أحمقٍ غَبيٍّ!

همام: أخيرًا يا سيفُ، قد علمتَ من أنا يا بُنَيَّ.

سيف (بدهشةٍ): أَتَرَانِي يا جَدِّي وتَسْمَعُنِي أيضًا؟

همام: أجَلْ يا صغيري، أراكَ وأَسْمَعُكَ وأَرعاكَ منذُ طُفولتِكَ.

سيف: كيفَ هذا؟ كيفَ كلُّ هذا يَحدُث؟

همام: لا تَسْأَلْ "كيفَ" الآن، بل اسألْ "لماذا" جعلتُكَ ترى كلَّ هذا.

سيف: لماذا جعلتَني يا جَدِّي أرى كلَّ تلكَ التفاصيلِ الآن؟

همام: حتى تعلمَ ماضيَ جدِّكَ الأليمَ، وأنَّني تركتُ عائلتي الدمويةَ وجِئْتُ إلى هنا يا بُنَيَّ. وحتَّى تَتَعَلَّمَ من عُلومِ جَدِّكَ، وتَستطيعَ حَرْقَ أيِّ جِنٍّ أو شيطانٍ يَعْتَرِضُ طريقَكَ، كما فعلتُ أمامَكَ الآن.

(ضَرَبَ سيفُ جبهته بيدِهِ في تَعجُّبٍ وخوفٍ، ثم تَذكَّرَ)

سيف: أجَلْ، نَسيتُ أنَّني في مَأزِقٍ الآن، وأنَّ ظامَ ذلكَ الشيطانِ نُريدُ تقييده، وقد يقتُلُ عمَّ مسعودٍ وعليَّ إنْ لم أُنْقِذْهُم الآن!

همام: لا تُسَلْسِلْهُ يا بُنَيَّ، بل أَحْرِقْهُ. أَحْرِقْهُ بالقُرآنِ كما علَّمْتُكَ. أَتَتذكَّرُ ما فعلتُ وقُلتُ؟

سيف: أجَلْ، حَفِظْتُ ما تَلوتَ أمامي على ذلكَ الجِنِّ. ولكن يا جَدِّي، كيفَ أنا هنا وهُم هنالكَ وحدَهم؟

همام: يا سيفُ، يا صغيري، إنَّ الشيطانَ يَجْرِي في الإنسانِ كمَجْرَى الدَّمِ. وقد استطاعَ ظامُ أن يُفَصِّلَكُم عن بعضِكُم البعضَ،

بداخلِ رأسِ كلِّ واحدٍ منكم بمفردِهِ، حتى يُعَذِّبَهُ بأبشَعِ كوابيسِهِ، ويَنفَرِدَ بواحدٍ واحدٍ منكم. ولكني تَدَخَّلْتُ أنا وجعلتُكَ تَرَى ما رأيتَ هذا، لكي أُجنِّبَكَ كوابيسَكَ ورُعبَكَ، ولِتَعْلَمَ أنَّ القُرآنَ سلاحٌ ضدَّ كلِّ شَرٍّ، وأسماءُ اللهِ لا يستطيعُ أحدٌ الوقوفَ أمامَ قُوَّتِها وعَظَمَتِها.

وأكمل همام (بصوتٍ مليءٍ بالإيمان): إنَّ الجبالَ لو أَقْسمتْ عليها بأسماءِ اللهِ لَخَرَّتْ يا بُنَيَّ. ولكن ليس كلٌّ من يقولُ ويتكلَّمُ، وإنَّما كلُّ من يُؤمِنُ ويُسلِّمُ فيَسْلَمُ.

سيف: ماذا تقصد؟

همام: أيْ أنه ليسَ كلَّ من يتلو القرآن يستطيعُ أن يفعلَ كما فعلتُ أنا، وإنما قبلَ التلاوةِ يجبُ أن يكونَ هناكَ إيمانٌ من داخلكَ على أنَّ اللهَ هو الحقُّ القادرُ على كلِّ شيءٍ يا عزيزي. تسلَّحْ بالإيمانِ ولا يخدعنكَ ماكرٌ ولا شيطانٌ.

سيف: فهمتُ يا جدي، تقصدُ أنَّ ليسَ كلَّ من يحفظُ الكتابَ تكونُ له تلكَ الهِباتُ والقوةُ، ولكنْ ممكنٌ أن يكونَ الشخصُ لا يحفظُ سوى بعضِ الآياتِ ولكنه مؤمنٌ بها وباللهِ العزيزِ الجبارِ.

همام: أجلْ يا عزيزي، إنَّ آيةَ الكرسيِّ من يعلمُ قوتَها وعظمتَها هي والسبعُ المثاني، ما انفكوا عن تلاوتِها.

الرسولُ - صلى الله عليه وسلم - كان يقرأُ آيةَ الكرسيِّ بعدَ كلِّ صلاةٍ؛ حيث قالَ - عليه الصلاة والسلام -: (مَن قرأَ آيةَ الكرسيِّ دُبُرَ كلِّ صلاةٍ مكتوبةٍ، لم يمنَعْهُ من دخولِ الجنةِ إلَّا الموتُ).

وكما أنها تحفظُ القارئَ لها من العينِ، والسحرِ، والمسِّ؛ إذ إنَّ اللهَ - تعالى - جعلها حرزًا من الشيطانِ، والجنِّ والسحرةِ، والمشعوذينِ. فمن قرأَها في الصباحِ حفظهُ اللهُ تعالى حتى المساءِ، ومن قرأَها في المساءِ حفظهُ اللهُ تعالى حتى الصباحِ.

أنَّ رسولَ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - كان يقرأُها عندَ النومِ؛ ليدفعَ بها الشياطينَ.

وأنَّها احتوتْ على واحدٍ وعشرينَ من أسماءِ اللهِ الحسنى، ومنها اسمُ اللهِ الأعظمِ، الذي إذا دُعيَ بهِ أجابَ.

فاجعلْها حرزَكَ يا صغيري وداومْ عليها وعلى السبعِ المثاني.

سيف: ما السبعُ المثاني؟

همام: فاتحةُ الكتابِ، فقد قالَ - عزَّ وجلَّ - في كتابه العزيز:

(إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ (86) وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ (87) لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (88))

من سورةِ الحجرِ.

سيف: أجلْ، نعم.

همام: عليكَ أن تذهبَ الآن يا بُنَيَّ لتنقذَ أصدقائكَ وتحرقَ الشيطانَ. وانتبهْ لحالكَ يا صغيري، ولا تخفْ، سأكونُ معكَ دائمًا لِأَرعاكَ.

***

استفاق سيفُ ليجدَ أنَّ مسعودًا في مواجهةِ ظامٍ وحده، وعليٌّ فاقدٌ لوعيه هو الآخر. فلم يتحركْ حركةً سريعةً حتى لا يعلمَ ظامٌ بعودتهم لوعيهم، وحركَ يدهُ ببطءٍ حتى يلمسَ عليَّ ، وبالفعلِ وضعَ يدهُ على قدمِ عليٍّ المستلقي على الأرضِ داخلَ الدائرةِ وهو يرتعشُ وينتفِضُ جسدهُ. وأغمضَ سيفٌ عينيه وقرأَ الفاتحةَ سبعَ مراتٍ، وأعقبَها بآيةِ الكرسيِّ سبعَ مراتٍ أيضًا حتى يُثبِّتَ جسدَ عليٍّ في مكانه. وصرخَ عاليًا وهو يقومُ بجسدهِ كمن رأى كابوسًا مفزعًا وقامَ من نومه.

صاحَ ظامٌ في غضبٍ وقالَ: كيف لكم أن تتحرروا؟

سيف: لا عليكَ من هذا، فكشفنا أمركَ الآن، وستُحرقُ بدلًا من التقييدِ فقط يا ملعون.

مسعود: ماذا تقصدُ يا سيف؟ أخبرني.

سيف: سأخبرك لاحقًا، ولكن عليكَ الآن أن تتلوَ طلسمَ السلاسلِ حتى لا يقتلنا، وبعدَ أن يتقيدَ، تتلونَ خلفي ما سأتلوهُ أنا.

علي: ماذا سنقولُ الآن؟

سيف: لا وقتَ للكلامِ. قلْ يا مسعودُ الطلسمَ، وسنرددُ خلفكَ سريعًا الآن، وإلا قُتلنا.

ظام: لا، لا هههههه، ماذا تقولُ يا بن آدم؟ أتريدُ حرقي ولم يستطعْ حرقي أعتى السحرةِ الجبارين؟ هههههههه.

سيف: لا يردُّ عليه أحدٌ، إنه يريدُ تشويشَ عقولنا وتأخيرَنا عن حرقهِ وقَتلنا نحنُ قلْ يا مسعودُ، هيا!

بحقِّ بلوجٍ وجلوجٍ، مخنوشٌ مخنوشٌ، طيوشٌ علشٌ، جلامٌ جيلا، جلامٌ جيلا، أمليجا أمليجا أمليجا، أقسمتُ عليكم يا معاشرَ الأبالسةِ والدهانشةِ والقماقمةِ، يا زوابعهِ يا عمالقةَ العفاريتِ الباطشةِ، أيها الخواطفةُ، أقسمتُ عليكم بالحضورِ، انتشرت الشياطينُ في القبورِ وسلسلوا بحديدٍ ونحاسٍ مصهورٍ، أسرعوا يا خدامَ هذه العزيمةِ بالحضورِ، أجيبوا مسرعين خاضعين بالتنفيذِ، بيننا وبينكم ميثاقٌ غليظٌ، أقسمتُ عليكم بعزائمِ سليمانَ العظيمِ وما أخذه عليكم من عهودٍ ومواثيقٍ، أجيبوا بحقِّ مرطوشٍ ابنِ إبليسِ وبحقِّ طارشٍ وبحقِّ اللعنةِ الأبديةِ والآثامِ الجهنميةِ، لقد أقسمتُ عليكم بأبيكم إبليسِ اللعينِ وبالحجرِ والقبورِ والودیانِ والدروبِ، ناش ناش، جاس جاس، مخنوش مخنوش، أجيبوا يا خدامَ طلسمِ السلاسلِ، وافعلوا ما أمركم به الآن وسلسلوا ظام، القطَّ الأسودَ المشهورَ، واجعلوا مكانه هذا قبرًا منسيًا أبديًا أبدًا أبدًا، سلاسلُ من مصهورٍ أقوى من نيرانِ البراكينِ، وزلزِلوا كلَّ من كان له معينٌ، أخضعوه وكونوا عليه حارسين، طلاطٌ طلاطٌ بلوخ مرطوشٍ، اللعنةُ الأبديةُ وآثامٌ جهنميةٌ، لعنةٌ أبديةٌ وآثامٌ جهنميةٌ.

وردَّد خلفه سيفٌ وعليٌّ في عجلةٍ وفزعٍ وهم يتلون الطلسمَ خلفَ مسعودٍ حتى يتقيدَ جيدًا ويستطيعوا حرقه بآياتِ اللهِ والكتابِ

الكريمِ حتى يتخلصوا من شره أبدًا ولا يكون له وجودٌ فيتحرر مرةً أخرى، وقالوا هم أيضًا:

بحقِّ بلوجٍ وجلوجٍ، مخنوشٌ مخنوشٌ، طيوشٌ علشٌ، جلامٌ جيلا، جلامٌ جيلا، أمليجا أمليجا أمليجا، أقسمتُ عليكم يا معاشرَ الأبالسةِ والدهانشةِ والقماقمةِ، يا زوابعهِ يا عمالقةَ العفاريتِ الباطشةِ، أيها الخواطفةُ، أقسمتُ عليكم بالحضورِ، انتشرت الشياطينُ في القبورِ وسلسلوا بحديدٍ ونحاسٍ مصهورٍ، أسرعوا يا خدامَ هذه العزيمةِ بالحضورِ، أجيبوا مسرعين خاضعين بالتنفيذِ، بيننا وبينكم ميثاقٌ غليظٌ، أقسمتُ عليكم بعزائمِ سليمانَ العظيمِ وما أخذه عليكم من عهودٍ ومواثيقٍ، أجيبوا بحقِّ مرطوشٍ ابنِ إبليسِ وبحقِّ طارشٍ وبحقِّ اللعنةِ الأبديةِ والآثامِ الجهنميةِ، لقد أقسمتُ عليكم بأبيكم إبليسِ اللعينِ وبالحجرِ والقبورِ والودیانِ والدروبِ، ناشٌ ناشٌ، جاسٌ جاسٌ، مخنوشٌ مخنوشٌ، أجيبوا يا خدامَ طلسمِ السلاسلِ، وافعلوا ما أمركم به الآن وسلسلوا ظام، القطَّ الأسودَ المشهورَ، واجعلوا مكانه هذا قبرًا منسيًا أبديًا أبدًا أبدًا، سلاسلُ من مصهورٍ أقوى من نيرانِ البراكينِ، وزلزِلوا كلَّ من كان له معينٌ، أخضعوه وكونوا عليه حارسين، طلاطٌ طلاطٌ بلوخ مرطوشٍ، اللعنةُ الأبديةُ وآثامٌ جهنميةٌ، لعنةٌ أبديةٌ وآثامٌ جهنميةٌ.

ليصرخ ظام في مكانه وتتحجَّم على كرسيه الحجري، وعيناه تشتعلان باللهب من شدة الغضب، ولكن لم يمهله سيف حتى قال:

سيف: يا مسعود، اصرف عُمَّارَ المكانِ حتى لا يُحرَقوا أيضًا. أسرع، هيا لنقضي على هذا الشر مرةً واحدةً.

مسعود: أقسمتُ عليكم باسم الله الرحمن الرحيم:

(ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدىً للمتقين الذين يُؤمنون بالغيب ويُقيمون الصلاة ومما رزقناهم يُنفقون والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون. أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون).

أقسمتُ عليك يا طارش ملكَ العمارِ، بمن أنزل الوحي على المرسلين، بأن تظهرَ عيانًا بجنودك أجمعين، وشقَّ الأرضَ، وإبعادَ كلِّ دفينٍ بحقِّ آهيا شراهيا أدوناى، وإسمِ اللهِ المخزونِ وسرِّه المكنونِ، وأغوثاه، وأغوثاه، يا نورَ النورِ بهيواه، بهيواه، يا هوه، يا هوه، شليم شليم، شلويم شوليم، باروخ باروخ، بانوخ بانوخ، نوخ نوخ، نموه.

ذلك الإسمُ الذي لجلاله تخضعون.

بسم الله الخفي وسلطانه القوي، اللهُ الذي لا إله إلا هو، الملكُ القدوسُ السلامُ المؤمنُ المهيمنُ العزيزُ الجبارُ المتكبرُ، سبحان الله عما يشركون.

أجب يا طارش، وأظهر لي عيانًا أنت وخدامك، وأطرد كلَّ عامرٍ مؤذٍ في هذا المكان، وشقَّ الأرضَ، وأبعدَ كلَّ مدفونٍ بحقِّ صاحبِ الفضلِ والكرمِ، الله العظيم.

إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون، وأمره بين الكاف والنون.

أنزل الآياتِ وجعلَ سرّاً لها مكنونًا.

إن الذين هم من خشيةِ ربهم مشفقون، والذين هم بآياتِ ربهم يؤمنون، والذين هم بربهم لا يشركون، والذين يؤتون ما أوتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون.

أسرع يا طارش بحقِّ ما تلوته عليك، وبشقهاطوش شطياش بطيش مهلياطوش العجل قبل حلول العذاب والنكال ونزول المصائب والبلاء والأهوال على من عصى وخالف داعي الملك الجبار.

فمن خالف استوجب عذابَ النارِ وضاقت عليه الأرض بما رحبت، وحلَّ به الانتقامُ من الشديدِ القهارِ العزيزِ الجبارِ، وتسلط عليه شهبُ محاريقِ العذابِ.

حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب، إذا هم يجأرون لا تجأروا اليوم إنكم منا لا تنصرون. قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون.

احضر يا طارش، وإسرع بالإجابة فيما أمرتكم به. هيا هيا هيا، كوش كوش، العجل العجل يا طارش، وخاطبني بلسانك، وأظهر لي عيانًا سرًا وجهرًا ليلاً ونهارًا بجلال من أمره بين الكاف والنون.

إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون. أفحسبتم انما خلقناكم عبثًا وانكم إلينا لا ترجعون

الواحا الوحا، الساعة الساعة.

وتبعه سيف وهو يقول: "رددوا أنتم خلفي الآن بيقين." وقال سيف ومسعود هو وعلي يرددون:

﴿ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ هُوَ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ عِندَهُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ عِلْمِهِ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ وَهُوَ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾

يا ودود يا ودود يا ذا العرش المجيد، بحق اسم الله العظيم الأعظم الذي زلزل الأكوان وخلق الإنس والجان، بحق اسم الله الرحيم الرحمن، بحق اسم الله الواحد القهار، بحق أسماء الله الكريم المنان وأسمائه العظام الواحد والعشرون المذكورة في الآية المزلزلة للكيان. بدأها باسمه هو وختمها بالعلي العظيم عظيم الأكوان.

يا هو يا هو يا هو، يا الله يا الله يا الله، احرقه بناره نار السموم، لا تجعل له أثرًا ولا معلومًا، وأره العذاب المحتوم، وعجز كل من كان من الخصوم ليرى هم المهموم، وصب فوق رأسه يحموم مزموم، وفي نار الهاوية خالدًا فيها مهزوم، وفي عذاب لا نهاية له يدوم.

كما علمه جده في الرؤية التي رآها من قبل.

اشتعلت النيران في كل مكان من حولهم وظام يصرخ صراخًا يخلع القلب من الجسد من شدة الفزع، وشبت النيران الملتهبة العالية في جسد ظام حتى شعروا جميعًا أنهم سيذوبون من درجة الحرارة المرتفعة في الكهف. فخرج الثلاثة مسرعين راكضين خارج الكهف في رعب وفزع يخالطه الفرح والسرور بالقضاء على سيد الشرور الشيطان المذكور في كل قصة كان بها ظام بالغرور.

ألقوا جميعًا بأجسادهم خارج الكهف مستلقيين على الأرض بجانب الذئب الذي ظل حيًا إلى الآن، وجثة منتصر المذبوح. وكان الليل أظلم المكان ولا يستطيعون المُضيِّ في تعبهم هذا. فأشعل علي مصباح هاتفه ليروا ما حولهم بعد أن انطفأت النيران التي أشعلت الكهف كله. وأشار مسعود لعلي وسيف بحفر قبر بجانب الكهف ليواروا جسد منتصر في التراب، فإكرام الميت دفنه. وأنهم لن يستطيعوا حمله والذهاب به حيث سيتهمونهم في قتله، وتهمة قتل ضابط شرطة ليست بتهمة هينة، بل ستقودهم إلى الموت، وحتى يتذكروا هذا المكان جيدًا وما حدث به من مواجهة الشياطين.

فقام سيف بالفعل هو وعلي يتحاملون على أنفسهم حتى حفروا الحفرة بجانب الكهف بعيدًا عن وصول البشر والحيوانات ودفنوه كما هو بجسده، يحتسبونه عند الله شهيدًا. ووقف الثلاثة على قبر منتصر يبكون حزنًا وأسى.

مسعود:

اللهم نشتهي الجنان وأنت بانيها

فارزقنا الرشاد كي نكون من ساكنيها
وأهدي لنا أنفسنا فقد عجزنا أن نداويها
وأذقنا حلاوة السكينة والطمأنينة
والأُنس والإيمان بك وحدك وعلق قلوبنا بك يا خير باريها
وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها وقدر لنا الخير فيها
وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة يا خير حاميها
ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا واعفُ عما أذنبنا فيها
وأرحم ربي الأحياء منا وأمواتنا ولا تخزيها
إنك على كل شيء قدير يا من أرسى رواسيها
ربنا افتح لنا ما أغلقته ذنوب دنيانا ومعاصيها
من أبواب رزقك يا من أغنى غانيها
وأرحم فقيدنا وأسكنه الجنة خالدًا فيها
إنك غفور تغفر الذنوب جميعًا
فاغفر له وطهره من خطايا وآثام وقع فيها

وأخذ علي وسيف يُؤَمِّنون خلفه وهم منهاران من البكاء على منتصر ويدعون له بالرحمة والمغفرة.

سيف: "إشتَقَقتُ لك حقًا، أين أنت الآن؟ كنا كثيري الخصام أنا وأنت، لكني ظللتـ أمسِكُ بأي خيط محبة بيننا كي لا تذهب. إشتَقَقتُ إليك حقًا يا منتصر، لا أعلم هل سيصلُك حُبّي وودّي الثابتِ لك وأنك في دعواتي المرسَلة للسَّماء. كنتَ وما زِلتَ شيئًا غير بي الكثير، لكن ظروف الحياة التي هي أقوى مني ومنك فعلتْ بنا الكثير، وكنا عديمي الفهم والإتِّفاق. أرى حياتك قد انتهت أمام ناظري ورغم علمي أن هذه نهاية كل شيء، وهكذا تنتهي الحياة بالناس جميعهم، إلا أنني ظننتُك دونهم ولن تخذلني. قد تظن أن حياتي استمرت بعدك وأنني بخير ولكنني لن أرى خيرًا فقد تركتَ فينا الكثير وفجوةً عميقةً في قلوبنا يا أيها الضابط المغرور."

علي: "لا أعلم ماذا أقول ولكنك كنت خير معينٍ لنا وصديقًا ولا زلتُ غير مُصدِّقٍ لفِراقِك. لا أكثُرُ في حديثي هذا ولكن لتعلم أنني سأدعو لك كثيرًا حتى تهدأ روحك يا صديقي. فليَرْحَمْك الله حيًا وميتًا يا منتصر. والمحبُّ للمحبوبِ ينتظرُ وإن لم يكن في الوجود موجود، فلنا لقاءٌ إن شاء الله في جنة الخلد يا صديقي."

مسعود: "لنصلِّ عليه صلاةَ الجنازة الآن يا ولديَّ ولنرحل سريعًا حتى نكتفي من كل تلك الأشياء والمصائب المتتالية وننقذ ذلك الذئب الجريح."

ووقف مسعود إمامًا بسيف وعلي حتى يصلوا عليه ويدعون له قبل رحيلهم. وبعد انتهائهم حملوا الذئب ورحلوا سريعًا حتى ينقذوه ولا يفقدوه هو الآخر، فإنها روح معلقة في رقابهم إن فقدوها.

وذهبوا به إلى ذلك الشاب شادي في محل بيع الحيوانات. فهم لا يعلمون أين يذهبون به حتى يعالجوه. فعندما رآه شادي قال: "إن هذا إسكار! كيف حدث له هذا؟"

فعلموا أن شادي هو من كان يُربي الذئب فأخبروه أن يعالجه إذًا . وتركوه معه فهو أعلم بما سيفعل له وأنه سيرعاه جيدًا. وذهبوا بعدها للمستشفى ليتعالج كل منهم من جراحه وآلامه. واتصل سيف بهبة وأخبرها بمكانهم وجاءت مسرعة في فزع عليهم وأخبروها جميعًا بما حدث لهم وما حدث لمنتصر فبكت هي الأخرى وقالت: "لم أظن أنني سأحزن هكذا على فراقه."

وبعد مرور ثلاثة أشهر كاملة، أخبر سيف أهله بالحضور إلى القاهرة لأنه كان موعد زفافه على هبة. كانوا سعداء جدًا ومسرورين فرحين. ووقف عليٌّ علىَ مسرح الزفاف وأمسك بالمايك وقال:

علي: "الآن يمكنني أن ألقي شعرًا لكما في حفل الزفاف الجميل هذا."

فصاح الجميع: "لاااا"، وهم يضحكون قائلين: "ألم نكتفي من الشعر والقصائد؟" ولكن علي لم يكترث لهم في ضحك ومزاح وقال:

ما لي بشبر في الحياة من غيرها

وما باليد حيلة وقد أفسدت ما اختارها

والقلب فيها سكران وكأنه تجرع نبيذها

وما كانت إلا نظرة من عينيها

أتت بي على حين غفلة لبيتها

فلم أقل لوالدها غير أني سأحبسها

بداخل قلبي جعلت لها وطنًا وأزينها.

سيف: "يكفي هذا، يكفي تعال وأجلس يا علي حتى لا نموت جميعًا الآن من قصائدك هههههههه."

وضحك الجميع وصفق الناس لعلي على ما قاله ذلك الجزء الصغير من القصيدة. وذهب العريس بعروسه لشقتهم وأخبرها أنه سيذهب بها إلى أهله في أسيوط حتى يعيشوا معهم ويتركوا القاهرة وضوضائها ولكي يزور قبر جده همام رحمه الله. وأخبر سيف علي بأن يتوقف عن كتابة القصائد فكانت نهاية الجميع ستكون من تلك القصيدة.

القصيدة

تمت.